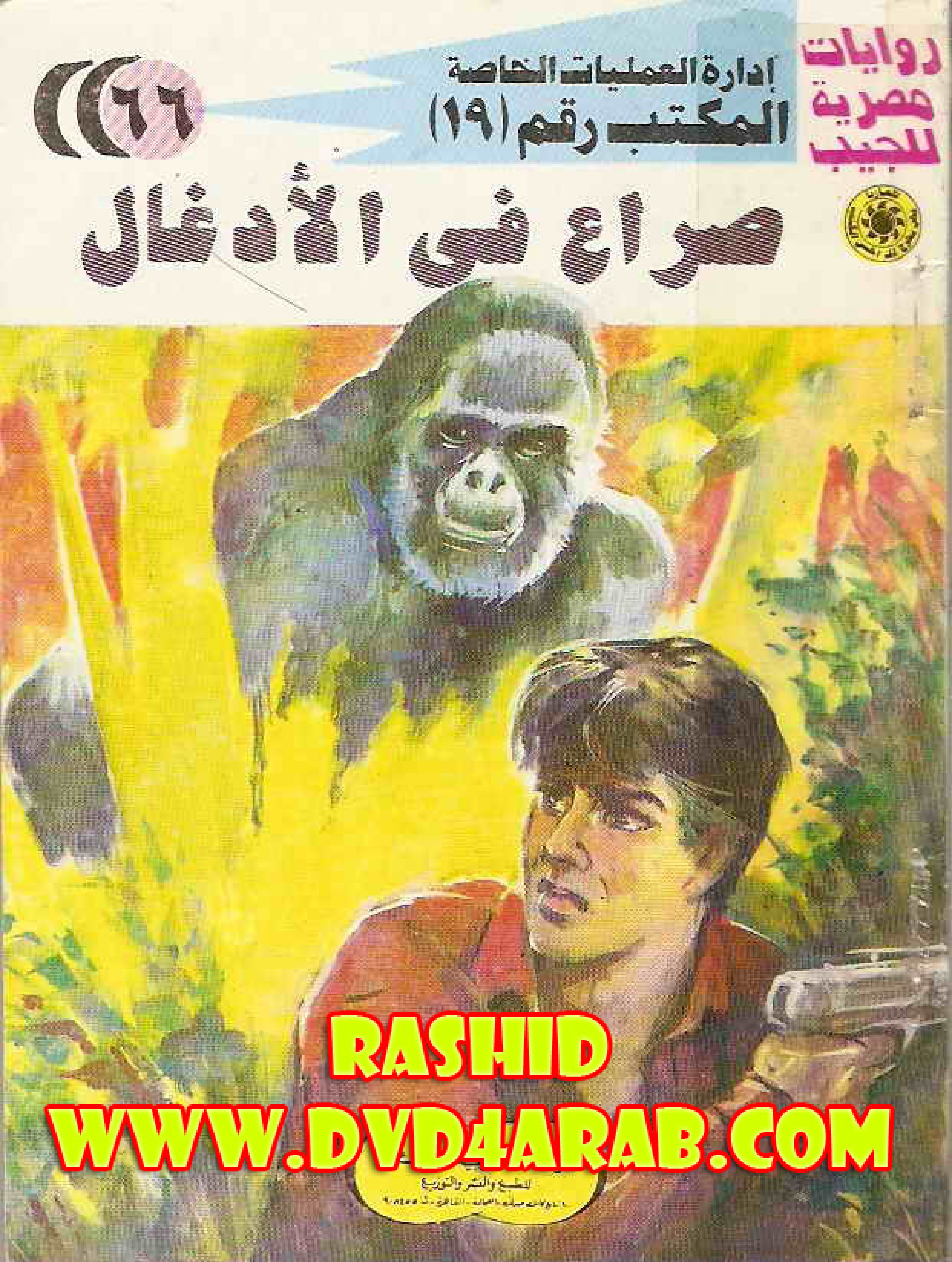

روايات مصرية للجيب
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
٦٦
صراع فى الأدغال
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ المطار السرى ..

وقف المدرب وسط الملعب يصرخ فى لاعبيه فى أثناء التدريب لكى يزيدوا من سرعة تحركاتهم .. والتخلص من حالة البطء والتراخى التى بدأت تظهر على بعضهم بسبب الإجهاد وطول ساعات التدريب ، وفى أحد أركان الإستاد جلس المدير الفنى للفريق يقيد ملاحظاته على الورق .

وما لبث أن نادى المدرب قائلا :

ــ أريد منك أن تركز معهم على دقة التمرير .. واللاعب (أيمن صالح) بحاجه لبعض الاهتمام بالنسبة للتصويب على المرمى .

قال المدرب للمدير الفنى :

ــ إننى أرى أنهم بحاجة لبعض الراحة ، فقد أرهقناهم كثيرا اليوم .

رد عليه المدير الفنى بحزم :

ــ أنا الذى يحدد متى يحين موعد الراحة .. إن الفريق سيواجه لقاءات صعبة ، ولابد للاعبين من تعوّد قوة التحمل .

إن تخفيف الحمل التدريبى سيبدأ من بعد الغد ، أما اليوم وغدا فعليهم أن يعتادوا قسوة التمرين .. وأعتقد أن إمكاناتهم البدنية تتحمل ذلك ..

وفى تلك اللحظة اقتربت مجموعة من الأشخاص يتوسطهم رجل رشيق الخطو .. ما إن رآه المدرب حتى همس للمدير الفنى :

ــ لقد حضر السيد الوزير .

قال له المدير الفنى ، دون أن يبدو عليه أنه تأثر كثيرا بحضور مثل هذه الشخصية الهامة إلى الإستاد :

ــ لن يجعلنا هذا نؤخر البرنامج الذى تم إعداده مسبقا .

استمر فى تدريب اللاعبين ، وسوف أستقبله بنفسى .

عاد المدرب إلى موقعه وسط الملعب .. فى حين تقدم المدير الفنى للفريق القومى المصرى للترحيب بوزير الشباب والرياضة ، الذى ابتسم وهو يتطلع إلى اللاعبين قائلا :

ــ ما أخبار أبنائك ؟

أجابه المدير الفنى :

ــ الحمد لله يا فندم ، إنهم يسيرون وفقا للخطة الموضوعة . وقد اقتربنا كثيرا من مستوى اللياقة البدنية

الذى أرغبه لهم .. أما من الناحية الفنية فلدينا لاعبون يتميزون بمهارات عالية .

قال الوزير وهو مستمر فى مراقبة اللاعبين :

ــ أعتقد أننا لم نبخل على الفريق بشىء .. لقد وفرنا له كل الإمكانات اللازمة وشعبنا يتطلع إلى وصوله لكأس العالم القادمة ، خاصة وأنه لم يعد متبقيا فى التصفيات سوى تلك المباراة القادمة .

مباراة واحدة ويتحقق أمل الملايين من المصريين فى وصول فريقنا إلى كأس العالم لكرة القدم .. والأمر هنا ليس مجرد مباريات ولعب .. ولكنه هدف وطنى وقومى .. فالرياضة هى أحد مظاهر الحضارة والرقى بين الشعوب والأمم .

المدير الفنى :

ــ كلنا ندرك ذلك يا سيادة الوزير .. وأمامك اثنان وعشرون رجلا يقدرون المسئولية الملقاة على عاتقهم .. وسنبذل جميعًا كل جهدنا لتحقيق الأمل الذى تنشده الجماهير المصرية فى الوصول إلى نهائى كأس العالم .. بل المنافسة على الكأس أيضا .

قال له وزير الرياضة وهو يتقدم نحو الملعب :

ــ إننى واثق من هذا .. فلدينا شباب على مستوى عال

من المهارات الفنية التى لا تقل عن أفضل لاعبى العالم .. ومن الناحية البدنية فهم كما أرى وكما شاهدت من خلال المباريات السابقة يقتربون من المستويات الدولية فى هذا الشأن ، أما من ناحية المسئولية فإننى أعرف أنهم يقدرونها حق قدرها .

ووقف الوزير بنفسه يشاهد التدريبات وسط الملعب وهو يشجع اللاعبين ويتناقش مع البعض منهم ، ويسهم فى رفع روحهم المعنوية . وما لبث أن التفت إلى المدير الفنى قائلا :

ــ متى تنوون السفر للعب المباراة النهائية فى التصفيات :

أجابه المدير الفنى :

ــ سنسافر قبل المباراة بيومين .

الوزير :

ــ ولكن ألا ترى أن هذه فترة قصيرة للتأقلم على مناخ الدولة المضيفة وعلى الملعب الذى ستجرى عليه المباراة هناك ؟

المدير الفنى :

ــ إنها قصيرة بالفعل وكنا نفضل لو ذهبنا إلى هناك قبل المباراة بأربعة أيام .. ولكن ظروف شركات الطيران لا تسمح بذلك .

الوزير :

ــ لقد تقرر نقل الفريق إلى الدولة التى ستلاعبونها بوساطة طائرة خاصة فكن مطمئنا بهذا الشأن .

ابتهج المدير الفنى قائلا :

ــ هذا خبر سار جدا يا فندم .. إنه سيتيح لنا فرصة طيبة للغاية للتأقلم على المناخ واللعب فى الدولة المضيفة .. وسيوفر علينا متاعب كبيرة إذا ما سافرنا بوساطة شركات الطيران الدولية .

الوزير :

ــ قلت لك إننا مستعدون لتوفير كل الإمكانات التى تحتاجون إليها .. وكل ما نريده أن يكون المقابل هو جهد وعرق وتصميم على الفوز والوصول إلى نهائى كأس العالم .

قال له المدير الفنى وهو ينظر إلى لاعبيه بثقة :

ــ أعدك بأننا سنحقق ذلك يا فندم .

وفى اليوم المحدد للسفر استقل اللاعبون السيارة المخصصة للفريق وسط جو من المرح والتفاؤل فى طريقهم إلى المطار استعدادا للسفر .

وتفاوتت مشاعر اللاعبين داخل السيارة ، فالبعض أخذ يلقى الفكاهات ، والبعض التف حول المدير الفنى والمدرب

لتلقى بعض التعليمات ، والبعض الآخر جلس فى حالة استرخاء .

أما فى المطار فقد كانت هناك مظاهرة شعبية وإعلامية فى انتظار الفريق ، حيث أخذت الجماهير تلوح للاعبى الفريق القومى المصرى ، وتشير لهم بعلامات النصر مرددين الهتافات وعبارات التشجيع والتأييد الحماسية ، وأخذ اللاعبون بدورهم يلوحون للجماهير .. قبل أن يتجهوا إلى الطائرة .

وحلقت الطائرة فى السماء وسط جو مشحون بالحماس والأمل .

وفى الطائرة التفت المدير الفنى إلى لاعبيه قائلا :

ــ أعتقد أنكم رأيتم بأنفسكم مشاعر الجماهير الملتهبة .. إن الشعب المصرى ينتظر منكم أن تكونوا على مستوى هذه المشاعر وأن تعودوا له بالنصر .. ولكن حذار من الحماس الزائد ، فقد يأتى بنتيجة عكسية .

وقال لهم المدرب مؤيدا ما قاله المدير الفنى :

ــ إن ما نحتاج إليه هو عزيمة وإصرار على الفوز ، دون شد عصبى يؤثر على الأداء الحركى أو الخطة الموضوعة .

وفجأة حضر مساعد الطيار ليتحدث إليهم قائلا :

ــ من فضلكم أعيرونى انتباهكم .. واسمعوا ما سأقوله لكم بدقة .

وتحولت إليه أنظار الجميع ، وقد أحسوا من ملامحه القلقة ونبرات صوته أن هناك ما ينذر بالخطر .

وتحدث إليهم قائلا :

ــ لقد تلقينا الآن إشارة لاسلكية من جهة غير معلومة .. ولكنها تنذرنا بتعرض الطائرة لإحدى وسائل التخريب .. وأنها ستنفجر فى الجو خلال عشر دقائق من الآن ، إذا لم نلتزم بالتعليمات الصادرة لنا من هذه الجهة .

سرت همهمة وحالة من الاضطراب بين اللاعبين .. ولكن مساعد الطيار عاد ليهتف فيهم :

ــ أرجوكم .. أرجوكم حافظوا على هدوء أعصابكم .. كان من المفروض ألا أخبركم بذلك ، ونتصرف من تلقاء أنفسنا وفقا لما تملى به علينا الظروف فى مثل هذه الحالة .. لكنى أقدر أنكم جميعا من الرجال وأنكم ستحسنون التصرف فى مثل هذه المواقف .. وتساعدوننا فى مواجهة هذه الأزمة .

أحدثت كلمات الرجل تأثيرها بالفعل فى نفوس

اللاعبيين ، فاستردوا رباطة جأشهم والتزموا بالهدوء .

واستطرد مساعد الطيار :

ــ لقد تأكدنا من أن الطائرة قد تعرضت للتخريب بالفعل .. وأن الخطر يحيق بنا فيما إذا استمررنا فى مواصلة الطيران .. لذا لم يعد أمامنا سوى الامتثال للتعليمات الصادرة لنا من تلك الجهة غير المعلومة .

سأله المدير الفنى للفريق :

ــ وما الذى تقضى به هذه التعليمات ؟

أجابه مساعد الطيار :

ــ إنهم يطالبوننا بالهبوط فى أحد المطارات الحربية القديمة التى يبدو أنهم قد أعادوا تجهيزها للهبوط ، وتم إخفاؤه بعناية داخل الأدغال .

المدير الفنى :

وهل عملية الهبوط مضمونة فى ذلك المطار الحربى القديم ؟

أجابهِ مساعد الطيار :

ــ لا أستطيع أن أؤكد ذلك .. ولكننا لا نملك حلا آخر .

سأله المدرب :

ــ الا يوجد مطار آخر قريب يمكنه استقبال طائرتنا ؟

مساعد الطيار :

ــ مع الأسف .. أقرب مطار يحتاج إلى نصف ساعة

على الأقل قبل الوصول إليه ، واستخدامه لهذا الهبوط الاضطرارى .

من الواضح أن نوايا هؤلاء الأشخاص الذين اتصلوا بنا لا تنطوى على خير ، برغم ما يدعونه من أنهم سيساعدوننا فى إصلاح التخريب الذى لحق بالطائرة ، ولابد أنهم المسئولون عن هذا التخريب .

وربما كان ذلك فى أثناء هبوط طائرتنا فى مطار (كينيا) للتزود بالوقود .. ولكن لا بديل آخر أمامنا لمواجهة هذا الموقف .

المدير الفنى :

ــ إذن افعل ما تحتمه عليك مسئولياتك فى مثل هذه الظروف .

دخل مساعد الطيار إلى كابينة القيادة حيث سأله الطيار :

ــ هل أوضحت لهم الأمر ؟

ــ مساعد الطيار :

ــ نعم .. وقد فوضنا فى التصرف .

الطيار :

ــ الوقود يتسرب من خزائن الطائرة .. ولن نستطيع أن نواصل الطيران بأى حال من الأحوال .

مساعد الطيار :

ــ لامناص من الهبوط فى الجهة التى حددوها لنا إذن .

قال الطيار وهو يتصبب عرقًا :

ـ المشكلة أننى لا أرى أية مطارات فى تلك المنطقة يمكن استخدامها فى الهبوط ..

ولكن تقرير الطيار لم يكن دقيقًا تمامًا .

ففى تلك اللحظة قام شخصان باستخدام روافع (هيدروليكية) لرفع طبقة صناعية من العشب الأخضر تغطيها بعض الشجيرات الصناعية أيضًا ، كاشفة عن ممر جوى يختفى أسفل هذه الطبقة التى تتشابه والطبيعة المحيطة بها من غابات وأحراش .

وتطلع الطيار إلى الممر الجوى الممتد أمامه قائلاً :

ـ أنظر ها هو ذا الممر الجوى الذى حددوه لنا .

مساعد الطيار :

ـ من الواضح أنه قد تم إخفائه بطريقة بارعة فى هذا المكان ، للكشف عنه فى الوقت المناسب .

الطيار :

ـ اعمل على الاتصال بأقرب مطار إلينا لإخطارهم بالموقف الذى نتعرض له والموقع الذى سنضطر إلى الهبوط فيه .

ورد عليه مساعده قائلاً :

ـ وما الذى أفعله الآن سوى ذلك ؟

ونظر إليه الطيار وإلى جهاز اللاسلكى فى الطائرة قائلاً

ـ ماذا تعنى ؟

مساعد الطيار :

ـ إننا لا نتلقى أى اتصال .. ولا أى رد .. ومن الواضح أننا نتعرض لتشويش قوى لا يمكننا من إجراء أى اتصال .

وهبطت الطائرة على أرض المطار وقد اندهش الطيار لأن الهبوط جاء طبيعيًا ومريحًا مثل أى ممر أرضى معد لاستقبال ذلك النوع من الطائرات .. فلم يكن يتصور أن يجد فى هذه البقعة الموحشة من العالم والتى تحيط بها الغابات الكثيفة ممرًا أرضيًا جاهزًا لاستقبال الطائرات على هذا النحو . وما لبث أن ظهر عدد من الأشخاص فوق الممر الأرضى ، وهم يتحركون بهمة ونشاط حيث دفع بعضهم بسلم معدنى لهبوط ركاب الطائرة .

بينما تحرك البعض الآخر وهم يرتدون لباس العمال الفنيين ، لمعاينة الخلل الذى طرأ على الطائرة .

وهبط اللاعبون يتقدمهم المدير الفنى والمدرب من الطائرة ، ليجدوا سيارة مينى باص صغيرة فى انتظارهم .

وأشار لهم شخص كان يقف بجوارها قائلاً :

ـ تفضلوا بالركوب هنا .

سأله المدير الفنى :

ـ إلى أين سنذهب ؟

أجابه الرجل وعلى وجهه ابتسامة خبيثة :

ـ ستعرف فيما بعد .

والتفت أعضاء الفريق حولهم ليجدوا ثلاثة أشخاص يحاصرونهم بالمدافع الآلية ، وهم يشيرون لهم بأسلحتهم لكى يستقلوا السيارة .

ولم يكن هناك مجال لمخالفة الأوامر فاضطروا لركوب السيارة يصحبهم المسلحون الثلاثة .

فى حين جلس ، ذلك الشخص الذى أمرهم بالركوب بجوار السائق .

وسأله المدرب قائلاً :

ـ وماذا عن الطيارين ؟

قال الرجل دون أن تفارقه ابتسامته الخبيثة :

ـ هذا ليس من شأنكم .. ولكن على كل حال كونوا مطمئنين ، سنكرم ضيافتكم .

وفجأة سمعوا صوت طلقات تنطلق من خلفهم فالتفتوا وراءهم فى أثناء تحرك السيارة ليجدوا أحد الطيارين

وقد سقط صريعًا إثر إطلاق الرصاص عليه ، فى حين وقف الآخر يرتجف وهو يعلن استسلامه .

وقال المدير الفنى بغضب وهو يحاول النهوض من مقعده :

ـ لقد قتل زملاؤك أحد الطيارين .. هذه وحشية .

ولكنه تلقى ضربة قوية على رأسه بمؤخرة المدفع الذى يحمله أحد الرجال المسلحين ، فتهاوى فوق مقعده وقد سالت الدماء على عنقه .

وعمل أحد اللاعبين على مسح دماء المدير الفنى للفريق .. فى حين قال المدرب وهو فى حالة غضب لا تقل عن غضب رئيسه :

ـ أهذه فكرتكم عن كرم الضيافة ؟

قال له الرجل الجالس فى المقعد الأمامى وهو يشعل لنفسه سيجارة :

ـ كرمنا لا يعنى تجاوز الحدود بأى حال من الأحوال.. لابد أن ذلك الطيار قد بلغ به الغباء الحد الذى جعله يفكر فى تجاوز حدوده .. فاستحق العقاب المناسب .

وبينما كانت السيارة تقطع طريقًا وعرًا بين الأدغال فى طريقها إلى جهة غير معلومة .. كان أولئك الأشخاص الذين خلفوهم وراءهم فى الممر الجوى

يقومون بتغطية الطائرة بأوراق الأشجار وسعف النخيل والأشجار الصناعية ليخفوها عن الأنظار .. وكذلك كانوا يفعلون نفس الشىء بالنسبة للممر الجوى بعد إصلاح العطب الذى أصاب الطائرة .

وبعد عدة دقائق لم يكن هناك فى تلك البقعة الموحشة من العالم أى شىء يدل على وجود ممر جوى أو طائرة فى ذلك المكان ، فى حين توقفت السيارة أمام أحد الأنهار الصغيرة حيث امتدت عبارة من الجهة الأخرى من النهر إلى الجهة التى تقف أمامها السيارة ، والتى ارتقتها لتواصل السير فوقها عابرة إلى الجهة الأخرى .

ولم يمض وقت قصير حتى توقفت أمام غابة كثيفة من الأشجار المتشابكة .. تحركت بصورة مفاجئة وبطريقة آلية لتفسح المجال أمام السيارة التى توقفت أمام فيلا أنيقة محاطة بالأشجار وبالرجال المسلحين وبدأ الخوف والقلق يتسرب إلى قلوب اللاعبيين إزاء هذه المفاجآت المتوالية ، وكل منهم يجهل ما ينتظره فى اللحظات التالية .

يجهله تمامًا .

* * *

٢ ـ زنزانة الموت ..

أخذ (ممدوح) يركض بخطوات سريعة وسط التلال العشبية ، وقد تناهى إلى سمعه صوت كلاب المطاردة ومحركات السيارات وهى تسعى فى إثره .

وبرغم ارتفاع صوت لهاثه ، وحالة الإعياء الشديدة التى بدا عليها .. إلا أنه نجح فى تسلق أحد التلال .. محاولاً استكشاف المنطقة وتحديد موقع مطارديه ، ولكنه ما كاد يصل إلى قمة التل حتى هوى على الأرض من شدة التعب .

ومرت عليه بضع ثوان حاول خلالها التقاط أنفاسه .. ثم عاود النهوض من جديد .

وما إن فعل حتى فوجئ بمجموعة من الأشخاص يرتدون الملابس العسكرية وهم يصوبون إليه أسلحتهم .

وبدت على وجه قائدهم ابتسامة الظفر وهو ينظر إلى (ممدوح) قائلا بلهجة تهكمية :

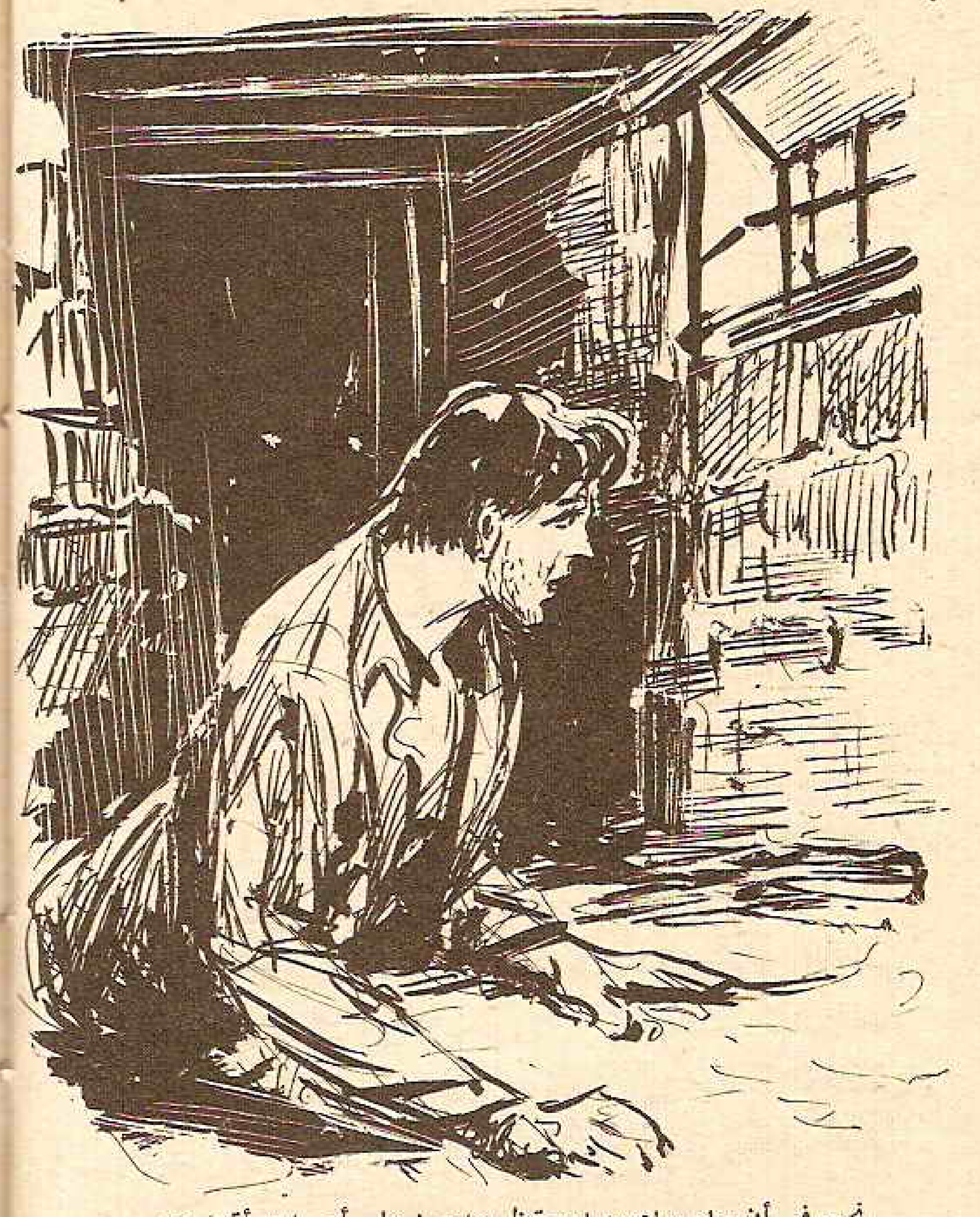
ـ لقد كلفتنا كثيرًا من الجهد ياعزيزى حتى تمكنا من الوصول إليك .. وهأنتذا الآن بين أيدينا .

ولكزه أحد الجنود بمقدمة حذائه قائلاً بغلظة :
ــ هيا .. انهض واضعًا يديك فوق رأسك ..
قال القائد للجندى بلهجة ساخرة :
ــ لا داعى لهذه الخشونة يا (بيدرو) .. الفتى أصبح مطيعًا كالحمل الوديع بعد أن أدرك حقيقة موقفه .
وأطلت نظرة السخرية من عينيه وهو ينظر إلى (ممدح) مستطردًا :
ــ أليسَ كذلك ؟
ثم انهال على صدغه بلكمة قوية أسالت الدماء من فم (ممدوح) ، الذى مسح الدماء بيده قائلاً :
ــ من السهل عليك أن تبدى شجاعة وأنت وسط جنودك المسلحين .. ولكنها شجاعة الجبناء .
تحولت نظرة السخرية فى عينى الرجل إلى غضب وهو ينهال عليه بلكمة أخرى قائلاً :
ــ ضع يديك فوق رأسك أيها الوغد وتقدم أمامنا .
وضع (ممدوح) يديه فوق رأسه مستسلمًا وهو يسير أمام الجنود الشاهرين أسلحتهم .. حيث كانت هناك مجموعة أخرى من الجنود الذين كانوا يطاردونه ومعهم كلابهم المدربة قد لحقوا بهم فى نفس المكان .
وصاح أحد الضباط وهو ينظر إلى (ممدوح) ثم إلى الضابط الذى يسير خلفه قائلاً :

ــ هيه (كروزو) ، أرى أنك قد أوقعت به أخيرًا .
ابتسم (كروزو) مزهوًا بنفسه وهو يقول :
ــ وسأتولى بنفسى الإشراف على تنفيذ الحكم الصادر ضده .. حكم الإعدام ..

* * *

مر على (ممدوح) يومان فى ذلك السجن الضيق الذى يمتلئ بالحشرات .. والمواجه لسور حجرى لإحدى التكنات العسكرية .. بلا طعام وبلا نوم تقريبًا .
وبدا فى حالة يرثى لها ، وقد تنامت لحيته وتشعث شعره ، وبدأت عيناه تزوغان .. من شدة الجوع والإرهاق .
وحاول أن يساعد نفسه على النوم برغم الجوع القارص الذى ينهش أمعاءه وبالفعل نجح فى أن ينام ساعتينْ استيقظ بعدهما على أصوات أقدام تدب على الأرض بقوة وصوت باب السجن وهو يفتح .
ففتح عينيه بصعوبة حيث كانت التباشير الأولى للصباح قد بدأت ورأى (كروزو) وبصحبته ثلاثة من الجنود المسلحين ، يتوسطهم رجل بدين يرتدى ملابس مدنية ، ودخل الرجل إلى الزنزانة وهو يجفف عرقه قائلاً :



نجح فى أن ينام ساعتين استيقظ بعدهما على أصوات أقدام تدب على الأرض بقوة ..

ـ صباح الخير أيها الصديق العزيز .

وبرغم حالة الإعياء التى كان يبدو عليها ، إلا أن (ممدوح) ابتسم وهو يقول بتهكم :

الصديق العزيز .. يا لها من تسمية تطلقونها على سجين يلقى على يديكم صنوف التعذيب .

التفت الرجل إلى (كروزو) قائلا :

ـ دعنا وحدنا الآن يا (كروزو) .

بدا على (كروزو) التردد .. ولكن الرجل قال بلهجة حاسمة :

ـ قلت لك دعنا وحدنا .. هيا خذ جنودك وغادر الزنزانة .. فلى حديث قصير مع مستر (ممدوح) وسوف أستدعيك عندما ننتهى منه .

وبرغم ملامح الاعتراض الواضحة التى بدت على وجه (كروزو) إلا أنه امتثل لما أمره به الرجل وغادر الزنزانة بعد أن أحكم إغلاقها وبصحبته الجنود الثلاثة .

واقترب الرجل من (ممدوح) وهو يهمس له بتودد قائلا :

ـ أنا آسف لما تتعرض له هنا .. أعرف أن (كروزو) يستخدم بعض الوسائل القاسية فى معاملة سجنائه .. إنه رجل خشن الطباع ، ويبدو أحيانا منفرًا .. ولكن

اطمئن ، يمكن لكل هذا أن ينتهى لو أردت وأبديت بعض التعاون معنا .

وصمت برهة .. قبل أن يستطرد :

ـ مستر (ممدوح) .. أين الميكروفيلم ؟

قال له ممدوح وهو يتمدد فى فراشه :

ـ أى ميكروفيلم ؟.. لست أدرى عن أى شىء تتحدث .

قال الرجل وهو يحاول أن يتظاهر بالهدوء :

مستر (ممدوح) لِمَ هذا العناد ؟ لماذا تحاول أن تجلب لنفسك المتاعب ؟

هذا الميكروفيلم الذى حصلت عليه لا يعنيكم فى شىء ..

ابتسم (ممدوح) قائلا :

ولكنه يعنى الكثير لرئيس دولتكم ، عندما يتبين له أن وزير دفاعه يتاجر فى المواد المخدرة ..

كما أنه يعنينا بالطبع .. عندما نعرف أن ستين فى المائة من هذه المواد المخدرة التى يسيطر عليها صديقك الجنرال (لوبيز) يتم تهريبها الى (مصر) بوساطة شبكة من العملاء فى الشرق الأوسط ، وبالتعاون مع أجهزة مخابرات معادية .

إن رئيس دولتكم صديق (لمصر) .. وهو رجل نزيه

ومن أصحاب المبادئ والمثل .. ولكن مع الأسف محاط بمجموعة من الأشرار والأفاقين ، على رأسهم الجنرال (لوبيز) الذى يستغل ثقة رئيسه أبشع استغلال ..

جفف الرجل عرقه مرة أخرى قائلاً

ـ إن ما لا تعرفه هو أن الجنرال (لوبيز) هو السلطة الحقيقية والقوة المؤثرة هنا .

(ممدوح) :

ـ بل أعرف هذا .. وآن لكل هذا أن يتوقف .

قال له الرجل البدين :

ـ مستر (ممدوح) .. هل تسمح بالنهوض ؟

قال له (ممدوح) ساخرًا :

ـ مع الأسف إننى لا أقوى على ذلك من شدة الجوع والتعب .. أرجو ألا يجرح ذلك إحساسك ، وتظن أننى أقلل من احترامك .

مد له الرجل يده قائلاً :

ـ حسن .. سأساعدك على النهوض ما دمت لا تقوى على ذلك .. فأنا أريد أن ترى شيئا .

تحامل (ممدح) على نفسه لينهض دون أن يعتمد على اليد الممدودة إليه حيث قاده الرجل إلى نافذة السجن الضيقة .. قائلا :

ـ انظر إلى هذا .

نظر (ممدوح) من وراء قضبان النافذة ليرى فرقة إعدام مكونة من ستة جنود مسلحين يتدربون على إطلاق الرصاص على إحدى الدمى المنتصبة أمام جدار سور السجن .

واستطرد البدين وهو يعود لتجفيف عرقه :

ـ إن الجوع والحرمان من النوم هما أبسط وسائل (كروزو) للتعذيب ، فهو لم يستخدم معك وسائله العنيفة القاسية بعد .. وهو متلهف على استخدامها .. ولكننى أعمل على كبح جماحه .

(ممدوح) :

ـ ولكن ما أراه أمامى ليست تجهيزات خاصة باستخدام وسائل تعذيب .. وإنما مجموعة من الجنود تتدرب على تنفيذ حكم إعدام .

قال البدين :

ـ هو كذلك .. لقد أقنعت الجنرال (لوبيز) بأنه لا حاجة لاستخدام وسائل التعذيب مع شخص صلب الرأس مثلك .. فأشخاص على شاكلتك من الخطإ الإبقاء على حياتهم لفترة طويلة من الزمن ، حتى لو كانوا سيعالجون بوسائل التعذيب .

عاد (ممدوح) ليبتسم بسخرية قائلاً :

ـ هذه إنسانية منك .

قال له الرجل وهو يحل زر ياقة قميصه محاولاً تحرير عنقه البدين :

ـ نعم .. لذا لك أن تختار أمرًا من اثنين :

إما أن تسلمنا الميكروفيلم الذى حصلت عليه ، أو يتم إعدامك رميًا بالرصاص خلال ساعات من الآن .

وبذلك نضمن أنه حتى فى حالة عدم حصولنا على الميكروفيلم منك فإنك لن تبقى على قيد الحياة لتقدمه لأحد، خاصة ونحن نعلم أنه لا توجد لديك سوى نسخة واحدة .. وأنك لم تتصل بأى شخص آخر منذ حصلت عليه .

(ممدوح) :

ولكن لابد أنك قد عرفت بأن (كروزو) وجنوده لم يألوا جهدًا فى تفتيشى وتفتيش المكان الذى ذهبت إليه بحثًا عن هذا الميكروفيلم .. وما داموا لم يجدوه فهو ليس معى .

وضع الرجل المنديل فى جيبه ، وقال :

ـ مستر (ممدوح) إنك تضيع وقتى .. لقد اخترت مصيرك بنفسك برغم أننى أردت مساعدتك .. وعليك أن تتحمل نتيجة عنادك واختيارك .

ثم استدار متجهًا إلى باب الزنزانة وهو يقول مستطردًا :

ــ فعندما أغادر هذه الزنزانة لن يحول شىء بين (كروزو) وجنوده وبين إعدامك رميًا بالرصاص .

قال له (ممدوح) بنبرة واهنة :

ــ انتظر .

ابتسم الرجل وهو يدير له ظهره بعد أن أحس بأنه أحدث التأثير المطلوب ، وعاد ليخرج المنديل من جيبه مجففًا عرقه مرة أخرى ، وهو يستدير فى مواجهة (ممدوح) الذى قال له :

ــ لقد أقنعتنى بما تريد .

قال الرجل وقد اتسعت ابتسامته :

ــ كنت واثقا من أنك رجل عاقل .

(ممدوح) :

ــ ولكن لى شرط قبل أن أقدم لكم الميكروفيلم .

قال الرجل : وما هو ؟

(ممدوح) :

ــ إننى جوعان .. لم أتناول طعامًا منذ يومين .. أريد طعامًا شهيًا ونومًا مريحًا هادئًا دون إزعاج من (كروزو) وأعوانه ، وغدًا أرشدك إلى مكان الميكروفيلم .

الرجل البدين :

ــ الميكروفيلم أولاً !

قال (ممدوح) بإصرار :

ــ الطعام الشهى والشراب والراحة أولاً .. فإننى أفتقد التركيز الكافى الآن بسبب ما تعرضت له من جوع وحرمان من النوم ، وأخشى أننى لا أستطيع تحديد مكان الميكروفيلم بدقة وأنا فى هذه الحالة الذهنية .

وصمت الرجل البدين برهة وهو يفكر .. ثم قال :

ــ حسن .. سنحقق لك ما تريد .. ستتناول أشهى أنواع الطعام ولن يزعجك أحد خلال الساعات القادمة ، وحتى صباح الغد .. ولكن لا ألاعيب من جانبك .

ففرقة الإعدام ما زالت موجودة ، وفى انتظار الأوامر.. وأى تحايل من جانبك أو السعى وراء كسب مزيد من الوقت ، لن يفيدك بشىء ، كل ما هنالك أن موتك سيكون أكثر قسوة .

فسوف يطلق الجنود الرصاص على ساقيك أولاً ، ثم ذراعيك ، ليجهزوا عليك فى النهاية .. وستذوق طعم العذاب الحقيقى والآلام القاسية قبل موتك .

(ممدوح) :

ــ إننى واثق أنكم بارعون فى القيام بمثل هذه الأمور .

ونادى الرجل (كروزو) وأعوانه لكى يفتحوا له باب الزنزانة ولكن قبل أن يغادرها عاد ليلتفت إلى (ممدوح) قائلًا :

ــ تذكر .. سأحضر صباح الغد ، بعد أن تكون قد استرددت عافيتك ، وأرجو أن يكن ذهنك صافيًا لترشدنا إلى مكان الميكروفيلم وتقديمه إلينا وإلا فالبديل الوحيد لك يا مستر (ممدوح) هو الموت .. فقط الموت .

* * *



٣ ــ سر الشيطان ..

أقبل (ممدوح) على الطعام الشهى الموضوع أمامه بنهم حقيقى .. ثم نال حظًا وافيًا من النوم والراحة .

وقبل أن يحل الصباح بدقائق قليلة ، نهض من نومه نشطًا وقد استعاد قواه كاملة ، وأطل من نافذة السجن حيث رأى بعض الجنود يتثاءبون .. ولم تكن فرقة الإعدام قد استعدت بعد .

فتناول جرعة من الماء ثم أخذ يحرك عضلات ساقيه وذراعيه قائلًا لنفسه :

ــ والآن وقد استعدت لياقتى .. يتعين علىّ أن أتأهب للقاء ضيوفنا الأعزاء .

وبعد قليل سمع وقع أقدام[illegible]ب .. ورأى ذلك الرجل البدين وبصحبته (كروزو) والجنود الثلاثة .. حيث قام أحدهم بفتح الزنزانة .

وقال له الرجل البدين مبتسمًا :

ــ أتمنى أن تكون قد نعمت بوجبة طيبة ونومًا مريحًا يا مستر (ممدوح) .

ضرب (ممدوح) بيده على بطنه قائلاً بمرح :

ـ فى الحقيقة كانت الخدمة هنا ممتازة فى الليلة الماضية .

فرك الرجل يديه قائلاً :

ـ حسن .. الآن وقد حققنا لك ما طلبته .. هل تسمح بأن تدلنا على الميكروفيلم ؟

حك (ممدوح) شعره بأظفاره قائلاً :

إن ما يؤسفنى هو أننى لا أتذكر بالفعل .. أين وضعت هذا الميكروفيلم الذى تتحدث عنه ؟ ربما أكون لقد تخلصت منه بشكل أو بآخر .. لا أتذكر .

انقلبت سحنة الرجل قائلاً بغضب :

ـ لقد حذرتك من قبل من مثل هذه الألاعيب .. وقد بدأ صبرنا ينفد يا مستر (ممدوح) .

قال له (ممدوح) بسخرية :

ـ فى الحقيقة أننى أريد أن أساعدك .. ولكن ذاكرتى لا تسعفنى .. ربما لو استمرت الخدمة التى تقدمونها هنا من طعام وشراب ونوم على هذا المنوال لعدة أيام أخرى ، فإن ذلك قد ينشط ذاكرتى ويجعلنى أدلكم على مكان الميكروفيلم .

احتقن وجه الرجل وهو يقول :

ـ حسن .. إذا كنت تظن أنك تستطيع السخرية منا لأكثر من ذلك فأنت واهم يا مستر (ممدوح) .. وهذه الروح المرحة التى تتباهى بها لن تستطيع أن تحتفظ بها طويلا .. وأنت واقف أمام فوهات البنادق التى ستنفذ فيك حكم الإعدام .

لقد حذرتك من قبل .. ولكنك لم تستمع إلى نصيحتى فلتذهب أنت وهذا الميكروفيلم إذن إلى الجحيم .

وصاح مناديا (كروزو) وجنوده قائلا :

ـ (كروزو) افتح هذه الزنزانة .

حضر (كروزو) وجنوده على عجل لفتح باب الزنزانة حيث قال له الرجل :

ـ مر فرقة الإعدام أن تكون جاهزة لتنفيذ الحكم الصادر ضد هذا الرجل خلال نصف ساعة من الآن .

ابتسم (كروزو) فى سعادة وهو ينظر إلى (ممدوح) قائلا :

ـ الأمر لن يحتاج لأكثر من عشر دقائق فقط .

بادله (ممدوح) الابتسامه قائلا بلهجته التهكمية :

ـ ياله من قضاء عادل .. حكم بالإعدام دون قاض ولا محكمة ولا نقض ولا استئناف .

نظر الرجل البدين إلى (ممدوح) نظرة تشف عن غلّ شديد قائلا :

ـ سأشاهد إعدامه بنفسى .

استمر (ممدوح) محتفظا بابتسامته الساخرة وهو يقول له :

ـ أرجو أن تستمتع بالمشاهدة يا عزيزى .

ثم ناداه فى أثناء ابتعاده عن الزنزانة قائلا وهو مستمر فى سخريته :

ـ يؤسفنى أننى قد أغضبتك ولم أقدم لك المساعدة المرجوة .

وعاد ليتأمل فرقة الإعدام وهى تستعد لإطلاق الرصاص عليه من بين قضبان نافذة الزنزانة .

ثم ما لبث أن سمع وقع الأقدام مرة أخرى حيث لمح (كروزو) قادمًا يتقدمه أحد الجنود المسلحين ، وقام الجندى بفتح باب الزنزانة فى حين قال (كروزو) :

ـ اعقد يديك خلف ظهرك حتى نقوم بتقييدك وتسليمك لكتيبه الإعدام .

استدار (ممدوح) عاقدًا يديه خلف ظهره وهو يتراجع إلى الوراء متظاهرًا بالاستسلام .

ولكنه انتظر حتى انفرج باب الزنزانة قليلا بالقدر الذى يسمح بمرور جسد الجندى المسلح ومن خلفه (كروزو) .. ثم ركل باب الزنزانة بقوة بقدمه للخلف

ليصطدم بجسد الجندى ، الذى ارتجَّ جسده على أثر ارتطام الباب المعدنى يه فى حين سقطت بندقيته على الأرض داخل الزنزانة وأسرع (ممدوح) بالتقاط البندقية الآلية فى خفة ومهارة ..

ثم سدد بمؤخرتها ضربة قوية إلى فك (كروزو) الذى بوغت بما حدث فهوى على الأرض .

وأتبعها بضربة أخرى على مؤخرة رأس الجندى جعلته يغيب عن الوعى تماما ، ثم أطبق على ياقة سترة (كروزو) من الخلف ليجبره على النهوض بعد أن جرده من مسدسه الذى وضعه فى حزامه من الخلف .

وتناول الحبل الذى أحضره لتقييده ليشد به وثاقه من الخلف .

ثم ألصق فوهة البندقية فى ظهر (كروزو) وهو يدفعه أمامه قائلا :

ـ ها نحن أولاء قد أجرينا تعديلا صغيرا يا عزيزى (كروزو) وعليك الآن أن تتقدمنى بدلا من أن أتقدمك .

وتذكر جيدا أن هناك فوهة بندقية مصوبة إلى ظهرك ، وأن أصبعى على الزناد ..

قال (كروزو) وفى عينيه نظرة حقد :

ـ لن تفلت بهذا أيها المصرى .. تأكد أنك لن تفلت بهذا .

دفعه (ممدوح) أمامه قائلا :
ـ لقد كنت أنتظر منذ قليل تنفيذ حكم الإعدام فىَّ .. لذا ففكرة الموت لا تقلقنى كثيرًا ولكننى لن أتوانى عن النضال فى سبيل بقائى على قيد الحياة وإنجاز مهمتى بنجاح .
وما إن تحرك بضعة خطوات حتى رأى أمامه ثلاثة من الجنود المسلحين وقد فوجئوا بقائدهم موثقًا ، وتحت رحمة السلاح الذى يشهره (ممدوح) الذى قال لهم بصوت آمر ، وهو يطبق على ياقة سترة (كروزو) من الخلف بيد ، بينما أصبعه على زناد البندقية الملتصقة بظهر (كروزو) :
ـ أفسحوا الطريق وإلا أفرغت رصاص هذه البندقية فى ظهره .
بدا عليهم بعض التردد .. لكن (كروزو) صاح فيهم :
ـ افعلوا ما يأمركم به .
أفسح الجنود له الطريق ليغادر المبنى الحجرى الصغير للسجن إلى الفناء الواسع المحيط به ، حيث كانت فرقة الإعدام .
وكان ذلك الرجل البدين جالسًا على مقعد خشبى


ثم ألصق فوهة البندقية فى ظهر (كروزو) وهو يدفعه أمامه ..

بجواره مظلة وهو يتأهب لمراقبة تنفيذ حكم الإعدام فى (ممدوح) .. حينما لمحه قادمًا وهو يدفع (كروزو) أمامه على هذا النحو .

فهبّ واقفًا وقد فوجئ بهذا المشهد ..وتحرّكت يده بحركة غريزية ليتناول منديله من جيبه وهو يجفف به عرقه .

قال (ممدوح) لـ (كروزو) :

ـ مر جميع جنودك بإلقاء السلاح وأن يصطفوا جميعًا ووجوههم إلى الجدار رافعين أيديهم إلى أعلى .

ونظر (كروزو) إلى (ممدوح) وقد ازدادت نظرة الحقد فى عينيه ، دون أن يرد عليه بشىء فدفع (ممدوح) وجهه إلى الأمام قائلا :

ـ ألم تفهم ما قلته لك .. ألم يعاقبك أساتذتك وأنت تلميذ ، بأن يجعلوك تقف فى مواجهة الجدار رافعًا يديك إلى أعلى .. لابد أنك قد فعلت ذلك لأننى أظن أنك كنت تلميذًا خائبًا يا عزيزى (كروزو) .

على كل حال .. ها أنا أمنحك الفرصة لكى تنفس عن عقدك القديمة .. وأن تفعل بجنودك ما كان يفعله معك أساتذتك وأنت تلميذ .

هيا .. دعهم يواجهون الحائط ، ويرفعون أيديهم إلى أعلى ملاصقة للجدار .

صاح (كروزو) فى جنوده طالبًا منهم تنفيذ ما أمره به (ممدوح) .

ولكن الرجل البدين قال لهم بلهجة آمرة :

ـ لا تنفذوا ما قاله لكم ، وأطلقوا الرصاص على ذلك الوغد .

قال أحدهم معترضًا :

ـ ولكن قد نصيب بذلك القائد .

قال لهم الرجل وقد بدت على وجهه ملامح الإصرار :

ـ لا يهم .. قلت لكم أطلقوا عليهم الرصاص .. وسوف تكافئون جميعًا على ذلك .. أنتم تعلمون أن سلطتى هنا أقوى من سلطة قائدكم ، فأنا أمثل وزير الدفاع شخصيًا .

ولم يجد الجنود بدًا من الامتثال إلى الأمر الصادر إليهم .. فصوبوا بنادقهم نحو (ممدوح) و (كروزو) الذى صرخ فيهم :

ـ ماذا تفعلون ؟ إنكم ستقتلوننى أيها الأغبياء .

وكان (ممدوح) قد لاحظ ما قاله لهم الرجل البدين وأدرك أنهم ينوون إطلاق الرصاص دون أن يأبهوا لما أمرهم به (كروزو) .. فأسرع بالوثوب خلف ساتر من الأكياس الرملية فى اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات البنادق .

وأطلق (كروزو) صرخة مدوية وقد استقر عدد من الرصاصات فى أماكن متفرقة من جسده ، ليهوى إلى الأرض صريعًا ، فى حين أطلق (ممدوح) ثلاث طلقات سريعة من بندقيته فى اللحظة التى وثب فيها وراء الأكياس الرملية تساقط على إثرها ثلاثة من الجنود .

وانطلقت الرصاصات صوبه ، لتستقر فى الأكياس الرملية .. فى حين التفَّ اثنان آخران من الجنود من خلفه محاولين تطويقه .

وكان (ممدوح) راقدًا على بطنه وقد دفن وجهه فى الرمال عندما أحس بأن هناك من يأتى خلفه .

فرفع وجهه عن الأرض .. ثم تدحرج إلى الخلف فى حركة عكسية ، مصوبًا بندقيته نحو الجنديين اللذين يحاولان تطويقه ، وهو يطلق وابلاً من الطلقات السريعة .

وسقط الجنديان صريعين فى الحال .. فى حين بدأ بقية الجنود الآخرين الذين يواجهونه فى التقدم نحوه وهم يصوبون بنادقهم فى اتجاهه ، وبدا أن تلك الأكياس الرملية لن تستطيع أن تحمى (ممدوح) طويلاً فى مواجهة كل هؤلاء الجنود المسلحين .. خاصة وأن عدد الطلقات المتبقية فى بندقيته لم تعد كافية لمثل هذه المواجهة غير المتكافئة .

ولمح (ممدوح) قنبلة يدوية مدلاة من حزام أحد الجنديين اللذين صرعهما فزحف على الأرض فى حركات سريعة حتى تمكن من الوصول إلى هذا الجندى .

وانطلقت نحوه بضعة طلقات من الجنود الذين يواجهونه ، رد عليها ببضع طلقات أخرى من بندقيته جعلتهم يتقهقرون قليلاً .

ثم تناول القنبلة اليدوية من حزام الجندى القتيل ، حيث نزع فتيلها .. وألقى يها نحو الجنود .

وانفجرت القنبلة لتحولهم إلى قتلى وأشلاء .. فى حين اندفع (ممدوح) سريعًا نحو الرجل البدين ، ليطوق عنقه بساعده واضعًا فوهة البندقية فى ظهره وهو يقول له :

ـ لنر .. إذا ما كنت ستطلب من الجنود إطلاق الرصاص هذه المرة أيضًا مهما كانت المخاطرة .

وقال له الرجل وقد ازداد عرقه غزارة :

ـ أرجوك لا داعى للتهوّر .

قال (ممدوح) بلهجة حاسمة :

ـ حسن .. إذا أثبت لى أنك ولد عاقل وحكيم فلن يدفعنى هذا إلى التهور .. وسأبقى على حياتك .

قال له الرجل وقد تساقطت حبات العرق على عينيه :

ـ ماذا تريد ؟

(ممدوح) :

ـ أريد هذه السيارة العسكرية التى تراها .. مر بأن تكون جاهزة بسائقها لتنقلنا من هذا المكان فى الحال .

قال الرجل :

ـ هل ستأخذنى معك ؟

(ممدوح) :

ـ أعتقد أنك لست ساذجًا إلى الحد الذى يجعلك تسأل هذا السؤال .

.. بالطبع إننى أحتاج إلى رهينة ؛ لكى تؤمن لى مغادرة هذا المكان اللعين ورهينة لها وزنها مثلك ، باعتبارك الممثل الشخصى لوزير الدفاع ..

قال الرجل وهو يرتعد :

ـ ولكن إلى أين سنذهب ؟

(ممدوح) :

ـ إلى مقر رئيس جمهوريتكم .

قال الرجل البدين بفزع :

ـ ولكن هذا يعنى هلاكى .. فعندما يعرف ..

قاطعه (ممدوح) :

ـ عندما يعرف ستلقى محاكمة عادلة .. وقد يخفف

الحكم بالنسبة لك باعتبارك لست شريكا رئيسيًا فى شبكة التهريب التى يديرها الجنرال (لوبيز) ، ولكن فى حالة عدم امتثالك لما أقوله لك فسوف أتركك هنا ولكن جثة هامدة ، وهذا أيضًا يعنى هلاكك .

امتثل الرجل لما أمره به (ممدوح) وقد أدرك أنه جادٌ فيما يقوله .

ولم يجد الجنود داخل الثكنة العسكرية ما يفعلونه إزاء أوامر الممثل الشخصى لوزير الدفاع ، وصلابة الرجل الذى يحتفظ به كرهينة ، فسمحوا له بمغادرة الثكنة بوساطة السيارة الجيب تحت سمعهم وبصرهم ، دون أن يجدوا سبيلاً إلى التدخل .

وفى مقر رئيس جمهورية (كوريكا) ، وقف (ممدوح) أمام رئيس الجمهورية الذى قال له :

ـ كان يمكننى أن أطلب من حراسى إطلاق الرصاص عليك ، لحضورك إلى هنا على هذا النحو الغريب ومعك أحد المسئولين فى الدولة رهينة .

ولكنى قدرت أنك وقد سلمت سلاحك وقمت بهذه المخاطرة التى لا يجرؤ عليها سوى مغامر متهور .. فلابد أن الأمر له من الأهمية ما يستحق بالفعل أن ألبى طلبك بمقابلتى .

قال (ممدوح) :

ـ الأمر بالفعل هامٌ للغاية ياسيادة الرئيس .

ومد يده إلى شعره المتهدل فوق جبينه لينتزع خصلة شعر صناعية كانت ملتصقة بفروة رأسه على نحو يصعب تفريقها عن الشعر الطبيعى .

وأسفل هذه الخصلة كان يوجد الميكروفيلم الذى استطاع (ممدوح) أن يحصل عليه .

ونظر إليه رئيس الجمهورية باستغراب وهو ينتزع الميكروفيلم من خصلة الشعر الصناعية ليقدمه له قائلا :

ـ عندما تطَّلع على هذا الميكروفيلم سيتبين لك أهمية الأمر وخطورته .

وتناول رئيس جمهورية (كوريكا) الميكروفيلم قائلا :

ـ ما الذى يحويه هذا الميكروفيلم ؟

(ممدوح) :

ـ إنه يكشف حقيقة الدور الذى يقوم به الجنرال (لوبيز) فى هذه الدولة والمنظمة الإجرامية التى يديرها من خلف ظهرك .

صاح رئيس الجمهورية فى غضب :

ـ ماذا تقول ؟

(ممدوح) :

ـ ستفهم ما أعنيه عندما تطلع على الميكروفيلم بنفسك .. ولكن أرجو أن تفعل ذلك سريعا قبل أن يتنبه الجنرال (لوبيز) للأمر ، ويبدأ فى ترتيب أوراقه من جديد ، فقد يشكل ذلك خطورة حتى بالنسبة لشخصك .. خطورة كبيرة .

* * *



٤ ـ مهمة فى (نيروبى) ..

كان اللواء (مراد) جالسا مع عدد من معاونيه حول مائدة الاجتماعات فى حجرة مكتبه عندما اتصل به سكرتيره ليخبره بحضور (ممدوح) .

قال له اللواء (مراد) :

ـ دعه يدخل فى الحال .

ثم التفت إلى معاونيه قائلا :

ـ أعتقد أننا قد اتفقنا على الخطوط العريضة بالنسبة للموضوع المطروح .. وعليكم أن تناقشوا التفاصيل الدقيقة مع مجموعة الأفراد التابعين لإدارتكم .

ثم نهض واقفا ليودعهم .

وفى تلك اللحظة دخل (ممدوح) من الباب الآخر للحجرة حيث وقف فى انتظار انتهاء اللواء (مراد) من توديع معاونيه .

واستدار اللواء (مراد) ليجد (ممدوح) فى انتظاره .. فابتسم له وهو يصافحه بحرارة قائلا :

ـ أهلا يا (ممدوح) .. حمدا لله على سلامتك .

ثم دعاه إلى الجلوس قائلا :

ـ كما هى العادة .. نجاح باهر فى تنفيذ المهمة التى كلفت بها .. سجلك أصبح حافلا بالمغامرات البطولية الناجحة .

(ممدوح) :

ـ أخجلتم تواضعنا يا فندم .

اللواء (مراد) :

ـ كان لنجاحك فى هذه العملية أثر كبير ونتائج حاسمة .. فقد تم القبض على وزير الدفاع فى (كوريكا) وإيداعه السجن هو وأعوانه .. ومكننا من قطع رأس الشيطان الذى كان يعمل على تهريب السموم إلى بلادنا ، والقضاء على تلك المنظمة الإجرامية التى كانت تعمل لحسابه .

(ممدوح) :

ـ يسعدنى أننى نجحت فى أداء الواجب المنوط بى نحو بلدى .

وصمت اللواء (مراد) برهة .. قبل أن يقول :

ـ وبلدك بحاجة إلى مجهوداتك مرة أخرى يا (ممدوح) .

قال (ممدوح) سريعا :

ــ وأنا جاهز لأى عمل تكلفنى به يا فندم .

اللواء (مراد) :

ــ لعلك سمعت بأمر اختطاف أفراد المنتخب القومى المصرى فى إحدى المناطق المجهولة فى إفريقيا .

(ممدوح) :

ــ نعم .. لقد أصبحت هذه القضية هى محور اهتمام الرأى العام بأسره فى (مصر) .

اللواء (مراد) :

ــ هؤلاء الذين تم اختطافهم مصريون أولا .. وهم لاعبون ومدربون لهم جماهيريتهم وشعبيتهم بالنسبة للجماهير هنا . كما أنهم كانوا فى طريقهم لأداء مهمة قومية وتحقيق حلم وأمل الجماهير هنا فى تخطى عقبة التصفية الأخيرة لوصول مصر إلى كأس العالم لكرة القدم القادمة فى روما .

لذا فإن اختطافهم على هذا النحو أمر يثير المشاعر ، ويحتم علينا أن نتصدى له بمنتهى الحزم والقوة .

(ممدوح) :

ــ هل اتصلت بكم جهة ما تطالب بفدية من أجل إعادة اللاعبين المختطفين ؟

اللواء (مراد) :

ــ نعم .. المسئول عن هذه العملية منظمة إجرامية لها نفوذ قوى فى (إفريقيا) وبعض مناطق متفرقة من شرق (آسيا) .

(ممدوح) :

ــ لعلها منظمة (الغوريلا) .

اللواء (مراد) :

ــ نعم .. تخمينك فى محله . إنها منظمة (الغوريلا) .

(ممدوح) :

ــ وما مقدار الفدية التى يطلبونها ؟

اللواء (مراد) :

ــ خمسون مليون دولار .

أطلق (ممدوح) صفيرا قصيرا وقال :

ــ ياله من ابتزاز !

اللواء (مراد) :

ــ إنهم يقدرون أن هؤلاء اللاعبين لهم قيمتهم وأهميتهم بالنسبة لنا ، ومدى تأثير اختطافهم على هذا النحو على الرأى العام فى (مصر) .

(ممدوح) :

ــ هل تم تحديد مكان اختطافهم ؟

اللواء (مراد) :

ـ حتى الآن .. لم نتمكن من ذلك .. ، ولكن من المرجح حسب تقديراتنا أنه فى منطقة قريبة من الحدود الكينية .. وبالتحديد فى المنطقة التى تقع بين الحدود الكينية والأوغندية .

(ممدوح) :

ـ وما المهلة الممنوحة لنا لدفع مبلغ الفدية ؟

اللواء (مراد) :

ـ عشرة أيام .. مر منها يومان .

(ممدوح) :

ـ أى أن أمامنا ثمانية أيام لنتحرك فيها .

اللواء (مراد) :

ـ تماما .. سيكون عليك أن تنجح فى مهمتك ، وتعيد اللاعبين المختطفين خلال هذه الأيام الثمانية ، وأن تعمل على إنقاذهم من بين أيدى هؤلاء المجرمين ، دون أن نتكلف فى سبيل ذلك قرشا واحدا ... لأننا غير مستعدين أن نكافئ هؤلاء الأوغاد على جرائمهم .. بل سنعمل على معاقبتهم ؛ لأن هذا هو عملنا الحقيقى .

(ممدوح) :

ـ ما الوسيلة التى حددوها لنا لتسليمهم مبلغ الفدية ؟

اللواء (مراد) :

ـ لا شىء أكثر من وضع المبلغ فى حقيبة كبيرة محكمة الغلق ، وإلقائها فى إحدى مناطق الأحراش بوساطة طائرة هليكوبتر .. على أن تبتعد الطائرة عن المكان فورا بمجرد إلقاء الحقيبة .. وبعد ذلك سيتم نقل اللاعبين بوسيلة ما إلى (كينيا) :

(ممدوح) :

ـ ولكن من السهل فى هذه الحالة مراقبة المنطقة التى سيتم إلقاء الحقيبة فيها ، أوتزويدها بجهاز لاسلكى دقيق لتحديد الجهة التى سيتم نقل الحقيبة إليها .. ثم الإطباق على رجال المنظمة .

اللواء (مراد) :

ـ ليس الأمر بالسهولة التى تتصورها .. فهؤلاء المجرمون أذكياء ، وهم يضعون حسابا لكل شىء .

لا بد أنهم سيضعون نظاما دقيقا لمراقبة المنطقة التى سيلقى فيها بحقيبة النقود .

كما أنهم يستطيعون نقل النقود إلى حقيبة أخرى .. وأى خطأ نرتكبه قد يعنى القضاء على أبنائنا من اللاعبين .. فرجال تلك المنظمة الإجرامية معروفون بالقسوة الشديدة .. وهم لن يتورعوا عن فعل أى شىء

إذا ما أحسوا بأننا نخدعهم .. وهذا ما يزيد من عبء المسئولية عليك .

(ممدوح) :

ــ إننى مستعد للقيام بالمهمة المسندة إلى يا فندم .

اللواء (مراد) :

ــ وأنا أكرر أن المهمة صعبة للغاية .. وأى خطأ بسيط فيها قد يعرض اللاعبين للخطر .

(ممدوح) :

ــ سأبذل ما فى وسعى للنجاح فى مهمتى دون تعريض اللاعبين للخطر .. وإن كنت أعتقد أنهم لن يقدموا على ارتكاب أى حماقات قبل أن تنتهى المهلة التى حددوها لنا فالمبلغ الذى يطلبونه سيكون أهم بالنسبة لهم من أى شىء آخر .

اللواء (مراد) :

ــ ستذهب غدا إلى (نيروبى) وستجد لنا أعوانا هناك سيقدمون لك التسهيلات والمساعدة اللازمة ، لتحقيق النجاح فى هذه العملية .. وهذا هو المهم يا (ممدوح) النجاح .. وبأقصى سرعة .

* * *

٥ ــ المطاردة ..

وصل (ممدوح) إلى العاصمة الكينية (نيروبى) فى ساعة مبكرة .. وما إن غادر المطار حتى وجد أحد الأشخاص يتقدم منه قائلا :

ــ ما أخبار الأهرامات الثلاثة فى بلادكم ؟

نظر (ممدوح) مليًا إلى وجه الرجل الأسمر قائلا :

ما زالت شامخة فى مكانها .

وقال الرجل سريعا :

ــ مستر (ممدوح) .. جئت لنقلك إلى الفندق .. سيارتى فى انتظارك

وكانت سيارة الرجل على بعد خطوات منهما حيث سارع بفتح بابها الخلفى وهو يدعوه إلى الركوب بكل احترام .

وسأله ممدوح :

ــ ولم لا أجلس إلى جوارك ؟

أجابه الرجل وهو يحنى رأسه قائلا :

ــ لأن المفروض أنك شخص ثرىَ جئت لقضاء أجازتك هنا ، وأننى أقوم بدور سائقك الخاص .

جلس (ممدوح) فى المقعد الخلفى للسيارة واضعًا حقيبته إلى جواره ، فى حين جلس الرجل أمام عجلة القيادة وهو يبتسم (لممدوح) . فى المرآة الصغيرة المعلقة أمامه قائلا :

ـ مرحبا بك فى (نيروبى) .

(ممدوح) :

ـ أشكرك .. ما اسمك ؟

أجابه الرجل :

ـ (مايونجا) .

(ممدوح) :

ـ حسن .. يا (مايونجا) .. ألا ترى أن هناك سيارة تتبعنا منذ أن تحركنا من المطار ؟

مايونجا :

ـ أراها .. وأعرف جيدًا كيف أعمل على تضليلها .. اطمئن سنتخلص منها بمجرد أن نعبر هذا الطريق .

(ممدوح) :

ـ ولكن هذا يعنى أن هناك من علم بأمر قدومى مبكرا .

(مايونجا) :

ـ أعتقد ذلك .. إن مهمتك صعبة للغاية يا مستر (ممدوح) .. ورجال (الغوريلا) لهم عيون فى كل مكان .

نظر (ممدوح) خلفه وهو يتطلع إلى السيارة التى تتبعهم ولاحظ أن راكبها حريص على الاحتفاظ بمسافة مناسبة بينه وبين السيارة التى يستقلها .

وقال له (مايونجا) :

ـ ذراع المقعد الذى تجلس عليه تحتوى على جهاز لاسلكى صغير تستطيع من خلاله الاتصال بأحد زملائنا ، وإطلاعه على الأمر .

إن جهاز الاستقبال لديه مفتوح الآن على نفس الموجة الموجودة فى جهاز اللاسلكى .. بذراع المقعد ، وهو فى انتظار رسالتك .

رفع (ممدوح) ذراع المقعد الجالس عليه إلى أعلى ليجد جهاز اللاسلكى .. حيث قام بتشغيل جهاز الإرسال .. ليسمع صوتا يأتيه قائلا :

ـ أهلا بك فى (نيروبى) يا مستر (ممدوح) .. أعرفك بنفسى إننى أدعى (بوكو) وأنا أرأس هنا الفريق المخصص لمساعدتك .. والعمل على إنجاح مهمتك .. فهل صادفت أية عقبات .

عاد (ممدوح) لينظر خلفه قائلاً :

ـ نعم .. عقبة صغيرة .. فهناك سيارة سوداء تتبعنا منذ أن غادرنا المطار وأعتقد أنها تضم عددًا من أعضاء الفريق المنافس .



عاد (ممدوح) لينظر خلفه قائلاً :

ـ نعم .. عقبة صغيرة ، فهناك سيارة سوداء تتبعنا ..

(بوكو) :

ـ رجال (الغوريلا) يعرفون أنك موجود الآن فى (نيروبى) .. وإن كنت لا أعرف كيف توصلوا إلى ذلك .

ولكن اطمئن فـ (مايونجا) سائق ماهر وسيعرف كيف يتخلص من السيارة التى تتعقبه .. وإن كنت أخشى أن الخطر سيبقى قائمًا على حياتك طالما أنهم يعلمون بأمر وجودك .. والمهمة التى جئت من أجلها .

(ممدوح) :

ـ المخاطر جزء من عملى ..

(بوكو) :

ـ سأكون على اتصال دائم بك .. لقد توافرت لى بعض المعلومات بشأن منظمة (الغوريلا) أسعى للتأكد منها أولا .. ربما أفادتك فى مهمتك .

استدار (مايونجا) بالسيارة فى أحد المنحنيات فى اللحظة التى أغلق فيها (ممدوح) جهاز اللاسلكى .. ثم اتخذ طريقًا دائريًا ضيقًا تمكن من خلاله من الوصول إلى الطريق العام مرة أخرى .. ولكن بعد أن نجح فى تضليل السيارة التى كانت تطارده .

وابتسم سعيدًا بنجاحه وهو يقول لـ (ممدوح) :

ـ ما رأيك ؟

(ممدوح) :

ـ أعتقد أن رأى (بوكو) فيك صحيح تمامًا .. وعليك الآن أن تزيد من سرعة سيارتك إذا أردت ألا يلحقوا بنا مرة أخرى .. لأنهم يجدون الآن فى البحث عنا بعد أن نجحت فى تضليلهم .

رفع (مايونجا) يده بالتحية العسكرية بطريقة هزلية قائلاً :

ـ أمرك يا سيدى .

ولكن قبل أن ينزل يده مرت بجوارهما سيارة أخرى صفراء .. ولمح (ممدوح) فوهة المدفع الآلى الذى برز من نافذتها الأمامية فصرخ فى (مايونجا) وهو ينبطح فى قاع السيارة قائلاً :

ـ اخفض رأسك سريعًا .

ولكن كان الأوان قد فات .. إذ انطلق وابل من الرصاص على السيارة التى يستقلها (ممدوح) قبل أن تبتعد السيارة الصفراء .

وأحس (ممدوح) بالسيارة تتراقص على الطريق يمينًا ويسارًا .

وعندما رفع رأسه عاليًا رأى (مايونجا) جثة هامدة بعد أن اخترقت الرصاصات مناطق متفرقة من جسده .

فقفز سريعًا إلى المقعد الأمامى محاولاً السيطرة على السيارة التى كانت منطلقة بسرعة فائقة .

ولكن فى اللحظة التى وضع فيها يديه على عجلة القيادة رأى أمامه مشهدًا يجمد الدم فى العروق .

فقد رأى سيارته وقد انحرفت انحرافا شديدًا توشك أن تصطدم بمقدمة شاحنة كبيرة قادمة من الاتجاه المقابل .

واستخدم (ممدوح) كل ما لديه من جهد للسيطرة على أعصابه وعلى عجلة القيادة حتى تمكن من تفادى اصطدامها بالشاحنة فى اللحظة الحاسمة .. ولم يعد يفصل بينها وبين مقدمة الشاحنة سوى بضعة سنتيمترات قليلة .

وما إن التقط أنفاسه بعد أن نجح فى إيقاف السيارة حتى عاد لإدارة محركها من جديد ، وبنفس السرعة التى كانت عليه وقد أصبح كل هدفه هو اللحاق بالسيارة التى انطلقت منها الرصاصات .

وبفضل السرعة التى يقود بها سيارته تمكن (ممدوح) من اللحاق بالسيارة الصفراء .. حيث لمحها من بعيد وهى تتجه إلى قلب المدينة .

واحتفظ بمسافة كافية بينه وبينها حتى لا يلمحه

راكبوها .. إلى أن رآها تتوقف أمام أحد المحلات فى شارع خلفى . فظل جالسا فى مكانه يراقب ثلاثة أشخاص يغادرونها متجهين إلى داخل المحل .

ثم تناول جهاز اللاسلكى من ذراع المقعد الخلفى ، وعمل على تشغيله قائلا :

ـ (بوكو) .. هل تسمعنى ؟

أجابه (بوكو) قائلا :

ـ نعم .. أسمعك بوضوح .. هل نجحت فى الإفلات من السيارة المطاردة ؟

ممدوح :

ـ نعم .. ولكن تعرضت لنا سيارة أخرى أطلق ركابها الرصاص علينا .. وقد توفى (مايونجا) من أثر تعرضه لبعض هذه الرصاصات .

صمت (بوكو) برهة قبل أن يقول بصوت ينم عن الأسى والغضب :

ـ تبًا لهؤلاء الأوغاد .. لقد كان (مايونجا) صديقًا عزيزا .

(ممدوح) :

ـ لقد تمكنت من اللحاق بالسيارة التى انطلق منها الرصاص إنها تقف الآن أمام حانوت صغير مخصص

لبيع بعض المنتجات المحلية فى شارع بالمدينة يدعى شارع (الحرية) . وقد رأيت ركابها يدخلون الحانوت وأعتقد أننى سأعمل على اكتشاف أمر هذا الحانوت وعلاقته بهؤلاء القتلة .

وعليك أنت أن ترسل بمن يلتقط السيارة التى سأتركها فى أول الشارع وبداخلها جثمان (مايونجا) لكى تتولى اللازم بشأنه .

(بوكو) :

ـ ألا تريد أى مساعدة بشأن هذا الحانوت الذى تشير إليه ؟

(ممدوح) :

ـ كلا .. أفضل أن أتعامل مع هذا بنفسى ودون إثارة انتباههم ، فربما يظنون الآن أنهم نجحوا فى التخلص منى .. وأنا أريد أن أستفيد من هذا العنصر لصالحى .

(بوكو) :

ـ ولكن كيف يمكننى الاتصال بك فيما بعد ؟

(ممدوح) :

ـ أعتقد أنك لن تعدم الوسيلة لذلك .

(بوكو) :

ـ حسن .. سأعمل اللازم بشأن التقاط السيارة قبل

أن يكتشفها رجال السلطة المحليـة ، وتـدور حولهـا الاستفسارات والتساؤلات ، ولكن كن حذرا .

دخل (ممدوح) الحانوت وقف يستعرض المنتجات المحليـة الإفريقيـة فوق الأرفف وعينيـه تجـولان فـى المكان .

وما لبث أن حضر إليه أحد الأشخاص قائلا :

ــ هل من خدمة يمكننى أن أؤديها إليك ؟

تناول (ممدوح) إحدى الأونـى الفخاريـة من فوق أحد الأرفف قائلا :

ــ نعم .. كم تساوى هذه الآنية ؟

أجابه الرجل :

ــ خمسة دولارات .

قال (ممدوح) :

ــ حسن .. سأشتريها .. يمكنك أن تلفها لى .

قال الرجل وهو يتأمل نظرات عينيه الزائغة :

ــ تفضل معى لاستلامها .

ولمـح (ممـدوح) فـى لـوح زجـاجى أمامـه أحد الأشخاص وهو يتسـلل مـن وراء ستار فـى أحد أركـان المحل ليغادره سريعًا وهو يحرص على ألا يراه أحد .

فقال لصاحب الحانوت :

ــ هل تسمح لى باستعراض بعض المنتجات الأخرى ؟

قال الرجل معترضًا :

ــ آسف .. إننا سنغلق المحل بعد قليل .

(ممدوح) :

ــ فقط حتى تنتهى من لف الآنية .

بدا على الرجل شىء من التردد .. ولكنـه امتثل لما طلبه منه (ممدوح) على مضض .

فتوجه للف الآنية سريعًا ووضعها فى أحد الأكيـاس البلاستيكية .

وانتهز (ممدوح) الفرصة ليستدير من خلف الرجـل وهو يضغط على زر صغير وخفى فـى خاتمـه ، فبرزت منه إبرة صغيرة مدببـة ، غرسها وراء أذن الرجل .. ففقد وعيه فى الحـال ، وتلفت (ممـدوح) حولـه وهـو يمسك بالرجل قبل أن يهوى على الأرض .

ثم أجلسه فوق أحد المقاعد المواجهة لمدخل المحـل قائلًا :

ــ أعتقد أنـه لن يضـرك فـى شـىء أن تنعم بإغفـاءة صغيرة لمدة ربع سـاعة حتـى أنتهـى مـن اكتشـاف ما يدور وراء هذا الستار .

واتجـه (ممدوح) إلى ما وراء السـتـار حيث وجد

حجرة ضيقة وقد ثبت فى أحد جدرانها دولاب خشبى مفتوح ، به عدد آخر من الأرفف وضع فوقها مجموعة من الحيوانات ورءوس الحيوانات المحنطة .

وحاول (ممدوح) أن يزحزح الدولاب من مكانه فلم يستطع .. كما حاول اكتشاف أية أزرار خفية دون أن يجد .

وفجأة رأى أحد الفهود المحنطة يتحرك فوق الرف حركة عكسية ، وعلى الأثر تحرك الدولاب حركة جانبية ..

وسمع (ممدوح) بعض الأصوات قادمة من الداخل .

وكان عليه أن يتصرف سريعًا قبل أن يكتشفوا وجوده فى هذا المكان .

* * *



٦ ـ لقاء الشيطان ..

التصق (ممدوح) بحافة الدولاب من الجانب المواجه للجدار على نحو حال دون أن يراه هذان الشخصان اللذان غادرا الفراغ الموجود خلفه .

وعرف (ممدوح) فيهما أحد ركاب السيارة الثلاثة .

وكان يخشى أن يتحرك دولاب الأرفف مرة أخرى على النحو الذى كان عليه فيكشف عن وجوده .

ولكن خشيته سرعان ما تلاشت برغم أن الدولاب عاد إلى وضعه الأول مع استدارة رأس الفهد المحنط ، لتعود إلى وضعها الطبيعى .

إذ أن فى اللحظة التى تحرك فيها الدولاب .. كان الرجلان قد أولياه ظهريهما وهما يزيحان الستار ليغادرا الحجرة .

وقال أحدهما لصاحب الحانوت الذى مازال جالسًا فى مكانه بعد أن أفقده (ممدوح) الوعى :

ـ هيه (جومو) .. يمكنك أن تغلق المحل الآن ..

فلن يأتيك زوار آخرون .

ونظر إلى الرجل بقلق قائلاً لزميله :

ــ ماذا به !

ابتسم زميله قائلاً :

ــ لابد أنه يمنح نفسه غفوة قصيرة .. دعك من هذا وهيا بنا حتى لا نتأخر وغادر الرجلان الحانوت .. ليستقلا السيارة التى تنتظرهما فى الخارج . وسرعان مالحق بهما (ممدوح) وهو يشير إلى سيارة أجرة قائلاً لقائدها :

ــ أريد أن تتبع هذه السيارة أينما ذهبت وسأنقدك مبلغًا كبيرًا .

وفى تلك اللحظة كان هناك شخصان جالسان داخل حجرة كبيرة مؤثثة على أحدث طراز وراء الدولاب المتحرك .

وقد أولى أحدهما ظهره لمكتب ضخم متطلعًا إلى رأس أسد محنط على جدار الحجرة ، فى حين كان الآخر جالسًا أمام شاشة تليفزيونية تكشف كل ما يدور داخل الحانوت .. ومن جميع الزوايا .

قال الرجل وهو يتطلع من خلال الشاشة إلى صاحب الحانوت الفاقد الوعى :

ــ ها هوذا (جومو) قد بدا يسترد وعيه .

قال الآخر وقد شبك أصابع يديه فى بعضهما وهو يستند بذقنه إلى الإبهامين دون أن ينظر إلى محدثه :

ــ هل خرج وراءهما ؟

أجابه الجالس أمام الشاشة قائلاً :

ــ نعم .

عاد الآخر ليقول :

ــ إذن فهو يتبعهما الآن .

رد عليه قائلا :

ــ بالطبع .

استدار الرجل بمقعده ليواجه محدثه قائلاً وابتسامة عريضة على وجهه :

ــ حسن .. فلنعتبر إذن أننا قد انتهينا من هذا الرجل .. فبعد ساعة أو اثنتين على الأكثر سيتحول إلى جثة هامدة .

توقفت السيارة أمام محل كبير مكون من عدة طوابق لبيع الملابس والأدوات المنزلية والأجهزة الكهربائية .. ولعب الأطفال وغادرها الرجلان متجهين إلى المحل .

وطلب (ممدوح) من سائق السيارة الأجرة أن يتوقف .. ثم نقده نقوده سريعًا ولحق بهما إلى الداخل .

ولكن ما إن دخل المحل حتى تبين له أنه قد فقد أثرهما وسط الزحام والمعروضات والاتساع الكبير للمحل .

فأخذ يسير فى أرجاء المكان بلا هدى وهو يأمل فى أن يلمح أحدهما ، وظل يتنقل بين المعروضات والطوابق وقد أدهشه أن يجد فى إحدى العواصم الإفريقية محلاً بكل هذه الأناقة والفخامة التى تضارع أكبر المحلات فى عاصمة أوربية كبيرة ، مثل لندن أو باريس .. ويتوافر بداخله كل المستلزمات العصرية على هذا النحو .. وعلى أرقى مستوى شاهدته عيناه .

وظل يتلفت حوله بحثًا عن الرجلين وهو يجوب أحد أرجاء قسم الأجهزة الكهربائية فى الطابق الثانى من المحل .

وما لبث أن سمع صوتًا ناعمًا يأتى من خلفه قائلاً :

ـ هل تحب أن تشاهد هذه الثلاجة ؟

التفت إليها (ممدوح) .. كانت فتاة سمراء ذات ملامح زنجية جذابة .

قالت بنفس النعومة وهى تشير إلى ثلاجة ضخمة كان (ممدوح) يقف بجوارها :

ـ أترغب فى شراء هذه الثلاجة ؟. إنك إذن رجل تحسن

الاختيار .. فهى أحدث ما أنتجته مصانع التبريد الأمريكية .. إنها ثلاجة عشرون قدما .

وظلت الفتاة التى كانت تبدو إحدى البائعات فى المتجر تمدح فى مميزات الثلاجة مما اضطر (ممدوح) إلى أن يقاطعها وهو يبتسم قائلا .

ـ عفوا .. ولكننى فى الحقيقة لم آت لشراء ثلاجات .. إننى أستعرض البضائع فقط وابتسمت الفتاة قائلة :

ـ حسن .. فليكن اليوم للمشاهدة .. وغدا للشراء .. لم لا تشاهد الثلاجة من الداخل ؟ .. إن بها تجهيزات غير عادية .

وحاول (ممدوح) أن يعتذر ولكنها لم تمنحه الفرصة.. بل سارعت بفتح باب الثلاجة وهى تشير له قائلة :

ـ فلتر تجهيزاتها من الداخل .. لابد أنك سترغب فى اقتناء واحدة مثلها بعد أن تطلع على هذه المميزات .

أراد (ممدوح) أن ينصرف قائلا :

ـ آسف ولكننى ...

لكن الفتاة عادت لتلح عليه قائلة :

ـ إننى لن أجبرك على شرائها .. كل ما هنالك أننى أريد أن تراها من الداخل وبعد ذلك تقرر ما إذا كنت ترغب فى الشراء أم لا .

ولم يجد (ممدوح) إزاء إلحاح الفتاة عليه سوى أن يلبى طلبها ويلقى نظرة على الثلاجة من الداخل .

وكانت الفتاة ما زالت ممسكة بالباب وقد فتحته قليلا .. وعندما اقترب (ممدوح) ليرى تجهيزات الثلاجة من الداخل فتحت الباب على أقصى اتساعه . وكم كانت دهشته عندما رأى الثلاجة خاوية تماما من الداخل . بلا أرفف أو أية تجهيزات .

وفجأة امتدت يد عملاق زنجى ضخم من وراء (ممدوح) لتدفعه إلى الداخل بقوة . ووجد نفسه مسجونا داخل الثلاجة الكهربائية وقد أغلق بابها عليه .

فاستدار بحركة تلقائية وهو يضرب بقبضته باب الثلاجة محاولا فتحه دون جدوى .

وما لبث أن سمع صوتا خلفه .. صوت شىء يتحرك .. هيئ له أنه صوت باب كبير وفى الواقع كان هذا صوت الجدار .. أو جزء من الجدار الملاصق لظهر الثلاجة ليتحرك حركة جانبية .

وسارعت الفتاة التى كانت تلح على (ممدوح) لرؤية الثلاجة فى إغلاق ستار كبير على الجانب الذى يضم بعض المعروضات من الأجهزة الكهربائية .. ومن بينها الثلاجة التى سجن فيها (ممدوح) ، فى حين قام

العملاق بدفع الثلاجة القائمة على قاعدة ذات عجلات متحركة إلى داخل الفراغ فى الجدار .

وأحس (ممدوح) بحركة الثلاجة وبأنها تدفع إلى الخلف فأدرك أن هناك من يدفعها إلى داخل الجدار .

وما إن توقفت حتى فتح بابها مرة أخرى .

ورأى (ممدوح) العملاق الأسود واقفا إلى جوار الباب وهو يشير له بمسدسه لمغارتها ، فغادرها وهو يتلفت حوله بحذر .. ليرى شخصًا جالسًا على مقعد وثير وهو يضع ساقا فوق ساق ، وقد أشعل لنفسه لفافة تبغ كبيرة .

لم يكن الرجل زنجيا .. بل كان أسمر وله ملامح سكان أمريكا اللاتينية .

وكان فارع الطول .. وسيما إلى حد ما .. فى الخامسة والأربعين من العمر تقريبًا له لحية تغطى صدغيه وفكه .. وإن كان قد تم تهذيبها بعناية .

وبدا الرجل معتدًا بنفسه .. وقد أخذ يلوك سيجارًا كبيرًا بين شفتيه ، وهو يتأمل (ممدوح) مليًا :

وبجوار الرجل رأى هذين الشخصين اللذين كانا يقتفى أثرهما .. وقد أخذا يتفرسان فيه بدورهما .

وقال له الرجل ذو اللحية :

ـ حسن .. ما الذى جاء بك إلى هذه البلاد ؟ ولماذا تتعقب هذين الرجلين ؟

قال (ممدوح) :

ـ هل لى أن أسأل بدورى .. لماذا أطلق هذان الرجلان الرصاص على السيارة التى كنت أستقلها ، وتسببا فى قتل سائقها ؟

نفث الرجل دخان سيجارته قائلا :

ـ فى الحقيقة لقد كنت أظن أنهما قتلاك أنت الآخر .

ابتسم (ممدوح) قائلا :

ـ لماذا ؟ هل أسبب لكم إزعاجا إلى هذا الحد ؟.

نهض الرجل من فوق مقعده ليتحرك داخل الغرفة واضعا إحدى يديه خلف ظهره ، والسيجار فى اليد الأخرى ، وهو يقول دون أن ينظر إلى (ممدوح) .

ـ تستطيع أن تقول إننا لا نرتاح لوجود رجال من أمثالك .

ثم اقترب منه ليواجهه وهو ينفث دخان سيجاره فى وجهه ، قبل أن يستطرد قائلا :

ـ خاصة عندما يأتى هذا الرجل متنكرا فى شخصية مليونير ثرى يهدف إلى السياحة .. وهو فى الحقيقة عميل لأحد أجهزة الأمن المصرية ، ويحمل رتبة مقدم ، واسمه (ممدوح عبد الوهاب) .

بقى (ممدوح) محتفظا بابتسامته وهو يقول :

ـ أهنئك على كل هذا القدر الوافر من المعلومات .. لم أكن أظن أننى موضع اهتمام إلى هذا الحد .

ولكن ما دمت قد عرفت كل هذا عنى .. ألا يحق لى أتعرف على الأقل إلى من أحظى بشرف التحدث إليه .

ابتسم الرجل ابتسامة تنم عن دهاء .. قبل أن يقول :

ـ إنك تتحدث إلى (دون جوناثان) زعيم منظمة (الغوريلا) .

قال (ممدوح) ساخرا :

ـ زعيم منظمة (الغوريلا) الإجرامية ذات السجل الحافل بعمليات القتل والخطف والمخدرات والإرهاب .. ياله من شرف !

لم أكن أعتقد أنك تلقى بالا لمقابلة أشخاص قليلى الشأن مثلى .

فقد كنت أظن أنك تعهد بمثل هذه الأمور إلى أعوانك .. وأنك تكتفى فقط بالتخطيط .

أطلق (جوناثان) ضحكة قصيرة قائلا :

ـ إننى زعيم ديمقراطى .. أشارك فى الإشراف على تنفيذ العمليات التى أقوم بتخطيطها بنفسى .

وفى الحقيقة أنا سعيد لأنهم لم يقتلوك فى المرة الأولى يا عزيزى .. لأننى أردت أن أراك بنفسى .

قال (ممدوح) وهو مستمر فى سخريته :

ـ إذا أردت أن تلتقط لنفسك صورة معى .. فإننى لا أمانع .

قال (جوناثان) وقد انقلبت سحنته :

ـ إذا كنت من هواة الصور التذكارية .. فلا مانع لدينا من التقاط صورة لك .. ولكنك مع الأسف لن تجد الفرصة لتراها .

لأنها ستكون صورة لك وأنت جثة هامدة .

وعاد ليطلق ضحكة قصيرة مرة أخرى قبل أن يستطرد :

ـ أو بمعنى أصح جثة مجمدة .. هل فهمت قصدى يا عزيزى ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .. إنك تنوى أن تعيدنى إلى هذه الثلاجة .. ثم تأمر رجالك بتشغيلها بعد أن تتركنى بداخلها لمدة يومين على الأكثر .. فى هذه الغرفة الصماء حيث لا مجال لمغادرتها .. أو لأن يسمعنى أحد فيعمل على إخراجى من داخلها . بعدها سأكون الجثة المجمدة التى تريدها .

ابتسم (جوناثان) وهو ينظر إلى رجاله قائلاً :

ـ عظيم .. هذا الشاب لا ينقصه الذكاء .. لقد أدرك بالفعل المصير الذى ينتظره .

وتحول إليه قائلا بلهجة صارمة :

ـ هل أكمل لك بقية ما سيحدث ؟.. إننا سنعمل على التقاط صورة لك بالفعل وأنت جثة هامدة .. وسوف نرسل بالصورة إلى سفارة بلادك ومعها تحذير واضح ومحدد يقول : هذا مصير الرجل الذى أرسلتموه وهو نفس المصير الذى سيلقاه جميع أعضاء الفريق القومى المصرى . لو فكرتم فى تكرار مثل هذه العملية الفاشلة مرة أخرى ، وأرسلتم بأحد رجالكم إلى (نيروبى) .

فأى تكرار لمثل هذه المحاولة من جانب السلطات المصرية سيعنى انتهاء المهلة الممنوحة لهم لتسليم المبلغ المطلوب ، وإنهاء حياة أعضاء الفريق القومى المصرى .

قال (ممدوح) متهكما :

ـ لا تسبق الأحداث .. فقد لا تتاح فرصة الحصول على هذه الصورة .

ابتسم (جوناثان) قائلا :

ـ هل تراهن على ذلك :

وما إن انتهى من جملته حتى هوى العملاق الأسود

على رأس (ممدوح) بمؤخرة مسدسه فى قوة جعلته يفقد الوعى .

ثم حمله ليلقى به داخل الثلاجة بعد أن أغلق بابها عليه ، وتركه ليلقى مصرعه داخلها ..

وسط الثلج .

* * *



هوى العملاق الأسود على رأس (ممدوح) بمؤخرة مسدسه فى قوة جعلته يفقد الوعى ..

٧ ـ لحظات الخطر ..

قال أحدهم لـ (جوناثان) :

ـ لسنا بحاجة لتجميد الرجل .. فرصاصة واحدة كانت كافية لإنهاء الأمر .

(جوناثان) :

ـ يالك من غبى .. أعرف بالطبع أن رصاصة واحدة كافية لإنهاء الأمر ولكننا سنكون حمقى لو فعلنا ذلك .

نعم .. لقد كان من الحماقة أن أطلب منكم إطلاق الرصاص عليه وهو قادم من المطار على هذا النحو الذى حدث .

إنه الآن داخل الثلاجة وبعد قليل سينتابه الإحساس بالبرودة .. وتبدأ أطرافه فى التجمد تحت تأثير درجة التبريد العالية التى تعمل بها الثلاجة ، بعدها سيبدأ فى الصياح ويتوسل إلينا لكى نخرجه وننقذه من التحول إلى كتلة ثلجية .

سأله الرجل :

ـ وهل سندعه يغادر هذه الثلاجة حقًا ؟

(جوناثان) :

ـ نعم .. ولكن بشروطنا .

عاد الرجل ليسأله :

ـ ماذا تعنى بذلك أيها الزعيم ؟.

(جوناثان) :

ـ أعنى أننا نستطيع وقتها أن نستخلص منه كل المعلومات التى نريدها فى مقابل إنقاذه من هذا المصير .

مثلا .. ما الذى لديه من معلومات حول منظمة (الغوريلا) ؟ مدى استعداد حكومته لدفع المبلغ الذى طلبناه ؟ هل جاء بمفرده أم أن هناك آخرين لا نعرفهم جاءوا معه .. كل تلك الأشياء التى لا يجيب عليها شخص عنيد مثله إلا إذا رأى الموت بعينيه وجرب تجميد الأطراف .

ثم لا تنس شيئا هامًا .. إننا نستطيع أن نستفيد من هذا الشخص بعد أن نحصل منه على المعلومات التى نريدها .. فهو استثمار جيد لنا .

سأله الرجل قائلا :

ـ كيف ؟

(جوناثان) :

ـ إنه عميل لجهاز أمنى كبير فى (مصر) .. جهاز يمتلك العديد من الأسرار التى تهم دولاً أخرى ، بعضها معاد لـ (مصر) ويرغب فى الحصول على هذه الأسرار عن طريق مثل هذا العميل .

لذا فإننا سنخرج هذا الرجل من الثلاجة وقد تعرض لحالة برودة شديدة تكاد معها أطرافه أن تتجمد بالفعل .. ولكن دون أن يصل إلى حالة التجمد الحقيقية .

ثم نحقنه بحقنة مخدرة ... ونلتقط له هذه الصورة التى وعدته بها قبل أن يسترد جسده حيويته ، وتعود إليه دمويته ، ونرسل بهذه الصورة إلى سفارته ردًا على إرسالها لهذا الرجل كى يتدخل فى شئوننا ، وتهديدًا جديًا لهم بشأن فريقهم القومى .

وبالطبع سيعد هذا الرجل بالنسبة لهم ميتًا ولا أمل فى استعادته .

وبعد أن ننتهى من موضوع اللاعبين المصريين .. نبدأ فى التفاوض مع تلك الدول الأخرى التى يهمها أمر هذا العميل ، بشأن دفع مبلغ مناسب فى مقابل تسليمه لهم .

ابتسم الرجل قائلاً :

ـ يالك من داهية أيها الزعيم .

نظر (جوناثان) إلى العملاق الأسود الواقف بجوار الثلاجة قائلاً :

ـ ستبقى هنا لفترة من الوقت .. ولا تحاول أن تفتح هذه الثلاجة بأى حال من الأحوال قبل أن أعود إليك .

همهم الرجل همهمة غير مفهومة وهو يحنى رأسه امتثالاً لأوامر الزعيم . وقال (جوناثان) للرجلين الآخرين :

ـ والآن هيا بنا لنتمم بقية الأعمال الأخرى .

واصطحبهما لمغادرة الحجرة تاركًا العملاق الأسود بجوار الثلاجة المغلقة .

* * *

بدأ (ممدوح) يسترد وعيه .. وأحس بالبرودة تسرى فى جسده .. ففرك عينيه .. ثم أخذ يمرر يده على ساعديه محاولاً إعادة الدفء إليهما .

وكان عليه أن يعالج الموقف سريعًا وإلا انتهى به الأمر إلى أن يتحول إلى كتلة من الثلج كما أراد له (جوناثان) .

وفى تلك اللحظة كان العملاق الأسود قد تراخى فوق الأريكة الموجودة فى الحجرة ، وهو يأمل فى أن يحظى ببضع ساعات من النوم العميق ، قبل أن يعود (جوناثان) .

ولم يكن هناك ما يقلقه بشأن (ممدوح) .. فالأوامر صريحة بالنسبة له بألا يحاول فتح الثلاجة قبل أن يحضر (جوناثان) بأى حال من الأحوال .

ولم يكن (ممدوح) بوضعه داخل الثلاجة المغلقة ـ فى ظنه ـ قادرًا على الهروب إلى أى مكان .. خاصة بعد أن أحكم إغلاق بابها عليه من الخارج .

وبالتالى .. فقد رأى أن من حقه أن ينال قسطًا من النوم دون أن يخشى عاقبة أى مسئولية .

ولكن لو أدرك أن (ممدوح) ليس بالرجل الذى يستهان به .. وأنه ليس طرازًا عاديًا من الرجال ، لما غمض له جفن ، ولا استحق أن يساوره القلق بالفعل ، فقد كان (ممدوح) فى تلك اللحظة يتهيأ لمغادرة سجنه البارد .. بإحدى الوسائل المبتكرة التى تسلح بها قبل تكليفه بالقيام بهذه المهمة .

إذ نزع عنه سترته وقام ينزع بطانتها من الداخل والتى كانت مثبته بالضغط ليتناول منها أنبوبًا مطاطيًا رفيعًا يصل طوله إلى حوالى المترين .. وقد تم وضعه فى البطانة على شكل عدة دوائر متداخلة .

ثم قام بتثبيت الأنبوب المطاطى حول الحواف الداخلية لباب الثلاجة .

وأحس بأن البرودة تزداد تسللاً إلى جسده .. وأنه يحتاج إلى الإسراع فى الانتهاء من عمله .. ومغادرة زنزانته الثلجية .

وتناول قلمًا جافا من جيبه .. ولكنه لم يكن قلمًا عاديًا .. إذ أدخل سن القلم داخل فتحة الأنبوب المطاطى .

ثم أدار الجزء الأخير منه يمينًا ويسارًا فأطلق سن القلم داخل الأنبوب المطاطى فى حركة سريعة .. وقد أخذ يحدث شررًا فى حركته .

واحترق الأنبوب فى الأجزاء التى يمر فيها السن المدبب .. حتى وصل إلى الجزء الأخير منه فأتى على الأنبوب تمامًا ، وتحول لونه إلى اللون الأسود .

ثم ما لبث أن تحول مرة أخرى إلى مادة صمغية مذيبة ، أخذت تحدث آثارها فى حوافَ الباب التى سرعان ما تآكلت من التحامها بهذه المادة الكاوية .

وفى أقل من دقيقتين كانت جميع حوافَ باب الثلاجة قد تآكلت تمامًا .. واسود لونها .

لم يحتج (ممدوح) إلا لدفعة بسيطة لكى ينزع الباب من مكانه .

وأحدث الباب صوتا فى أثناء انتزاعه ، نبه العملاق الأسود الذى استيقظ من غفوته ، وقد فوجئ بـ (ممدوح) خارج الثلاجة .

وقبل أن يقدم على أى رد فعل كان (ممدوح) قد ألقى الباب عليه ..

ثم وثب نحوه ليدفع برأسه إلى الجدار .

وترنح العملاق من أثر هذا الهجوم المباغت .. فانتهز (ممدوح) الفرصة ليعاجله بثلاث لكمات متتالية جعلته يفقد الوعى تمامًا .

وأخذ (ممدوح) يبحث عن مخرج حتى عثر على الباب السرى الذى يلتصق بالجدار ، فقام بتحريكه ليفذ من خلاله إلى المتجر مرة أخرى .

وسارع بمغادرته حيث وجد سيارة تعترض طريقه .. وقبل أن يمد يده ليتناول مسدسه .. أشار له الشخص الذى غادر السيارة بأن يتوقف عن ذلك قائلاً :

ـ لا داعى لذلك .. إننى صديق .

قال له (ممدوح) دون أن يتراجع عن إشهار مسدسه :

ـ وما برهانك على ذلك ؟

ابتسم الرجل وهو ينطق بكلمة السر قائلاً :

ـ ما أخبار الأهرامات الثلاثة فى بلادكم ؟

وعند ذلك أعاد (ممدوح) المسدس إلى مكانه .. فى حين ابتسم الرجل قائلاً :

ـ هذا أفضل فإشهار المسدسات على هذا النحو فى الطرقات العامة أمر يثير الفضول ويجلب المشاكل .

ثم مد له يده ليصافحه قائلا :

ـ أخيرا التقينا .. أعرفك بنفسى أنا (بوكو) .. الرجل الذى يعمل فى خدمتك هنا .

صافحه (ممدوح) قائلا :

ـ لم أكن أعرف أن فى هذا المتجر الأنيق وكرًا لجماعة (الغوريلا) .

(بوكو) :

ـ لقد أقلقتنا عليك .. وكنت على وشك اقتحام هذا المتجر أنا ومجموعة من الزملاء مع ما فى ذلك من مخاطرة بحثا عنك .. لو لم تخرج الآن .

ثم أشار له بركوب السيارة قائلا :

ـ من الأفضل أن نستقل السيارة الآن لتشرح لى ما حدث . وعندما روى له (ممدوح) ما تعرض له فى أثناء الطريق قال له (بوكو) :

ـ حسن .. إننا نستطيع أن ننصب فخًا ممتازًا (لجوناثان) وأعوانه فى هذا المتجر ، بعد أن عرفنا هذا الوكر الخفى .. إذ لا بد أنه سيعود إلى هناك .. وعند ذلك نطبق عليه ، لتصبح رأس الأفعى فى حوزتنا .

فما رأيك لو عدنا إلى هناك ، واستدعينا بقية الزملاء ؟

(ممدوح) :

ـ لا أعتقد أن هذا سيكون أمرا صائبا .

فلابد أن أعوانه فى ذلك المتجر قد اتصلوا به الآن بوسيلة ما ، وأخبروه بما حدث . كما أن أى مخاطرة تتعلق بمهاجمة رئيس المنظمة بمفرده والقبض عليه ، قد تعرض أعضاء الفريق القومى للخطر .. وتنسف المهمة من أساسها .

(بوكو) :

ـ معك حق .. على كل حال ، لقد غيرنا لك الحجز المسبق فى الفندق الذى حددناه لك من قبل .. فلم يعد ذلك الفندق آمنا تماما .

وسأقلك بنفسى الآن إلى فندق آخر ، حيث ستجد هناك المعاونة اللازمة . فى أدائك لمهمتك .

(ممدوح) :

ـ إننى أريد سيارة خاصة أقودها بنفسى .

(بوكو) :

ـ ستكون هناك سيارة فى انتظارك أمام الفندق .. هل تحتاج إلى أى شىء آخر ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .. أريد أن تضبط موجة الاتصال اللاسلكى التى سأحددها لك ، على الموجة الخاصة باللاسلكى الموجود فى ساعتى ، ووفقا للشفرة التى سأخبرك بها حتى يتيسر لى الاتصال بك وقتما أحتاج إليك .

(بوكو) :

ـ ولكن السيارة التى سنقدمها لك مزودة بجهاز اتصال لاسلكى .

(ممدوح) :

ـ سيكون هذا بالإضافة للجهاز الموجود فى السيارة ، حتى نضمن إذا ما تعطل هذا الجهاز ، أو تعرضت السيارة للخطر ، وجود جهاز اتصال آخر .

استقبل موظف الاستقبال فى الفندق (ممدوح) بحفاوة وترحيب قائلا :

ـ لقد جهزنا لك شاليها ممتازا فى الفندق مخصصا لإقامتك .

(ممدوح) :

ـ أشكرك على هذا الاهتمام .. وأرجو أن ترسلوا لى بالعشاء إلى الشاليه .. فأنا لا أنوى مغادرته هذه الليلة .

موظف الاستقبال :

ـ تحت أمرك ياسيدى .

وما إن دخل (ممدوح) إلى الشاليه وأغلق بابه وراءه حتى شرع فى فحص جدرانه وأثاثه ؛ فأولى بديهيَّات عمله كرجل أمن محترف ، هو تأمين المكان الذى يدخله أو يقيم فيه . خوفًا من وجود أجهزة تصنت أو كاميرات تلفزيونية خفية .

وسرعان ما تبين له فائدة الالتزام بهذه التعليمات .. إذ اكتشف وجود جهاز تصنت دقيقًا . ملتصقًا بخلفية اللوحة المعلقة فى حجرة الاستقبال بالشاليه ، ومالبث أن وجد جهازًا آخر مثبتًا خلف (الكومودينو) المجاور لسريره فى حجرة النوم .

ونزع (ممدوح) الجهازين من مكانهما وهو يسائل نفسه فى حيرة قائلا :

ـ كيف تسنى لهم معرفة انتقالى إلى هذا المكان بمثل هذه السرعة الفائقة ؟

لقد عمد (بوكو) إلى نقلى إلى هذا الفندق ، بعد أن أدرك أن الآخر غير مؤمن تمامًا ولكن هأنذا أجد جهازين حديثين للتصنت فى المكان الذى انتقلت إليه .

وهذا يعنى أنهم يتتبعون خطواتى أولا فأولا .

وقام (ممدوح) بتبديل ثيابه استعدادًا لأخذ حمام دافئ وهو يستطرد قائلا :

ـ فلنر ما إذا كنت سأحظى بالمزيد من المفاجآت .. أم أنهم سيتركوننى أنعم ببعض الراحة هذه الليلة .

وبعد أن انتهى (ممدوح) من حمامه سمع طرقات على باب حجرته ، وصوت الخادم يأتيه من الخارج قائلا :

ـ العشاء يا سيدى .

دس (ممدوح) مسدسه بين طيات روب الاستحمام الذى يرتديه تحسبًا للمفاجآت .. ثم فتح الباب .

ودخل الخادم وهو يدفع أمامه بمائدة صغيرة ذات عجلات .. وضعت عليها بعض الأطعمة والعصائر .. ويتوسطها طبق كبير مغطى بغطاء من الفضة ، وانصرف الخادم ، فى حين جلس (ممدوح) أمام المائدة وهو يمنِّى نفسه بوجبة شهية ، فقد كان جائعًا للغاية .. ويشعر بأنه مستعد لالتهام ضعف ما هو موجود فوق هذه المائدة .

ولكن قبل أن يمد يده إلى الطعام تنبه إلى خطورة التسرع فى تناوله ؛ فمادام أولئك الأشخاص يعلمون بأمر وجوده فى الفندق على هذا النحو . الذى جعلهم يدسون له أجهزة تصنت داخل الحجرة .. فلا شىء يحول بينهم وبين أن يدسوا له السم فى الطعام .

وتراجع (ممدوح) عن تناول العشاء ليتصل تليفونيًا بإدارة الفندق قائلا لموظف الاستقبال :

ـ من فضلك أرجو أن ترسل بمن يأخذ مائدة العشاء التى أرسلتموها ، فقد غيرت رأيى وقررت أن أتناول طعامى فى الخارج .

وقال له موظف الاستقبال :

ـ أهناك أى شكوى من الطعام الذى أرسلناه لك ؟

(ممدوح) :

ـ كلا .. ولكنى أحسست فجأة بحاجتى إلى تناول الطعام مع آخرين .

موظف الاستقبال :

ـ كما ترغب يا سيدى سأرسل بمن يستعيد المائدة .

شرع (ممدوح) فى ارتداء ثيابه مرة أخرى .. لتناول العشاء خارج الشاليه ، عندما عاد الخادم ليعيد المائدة الصغيرة ذات العجلات .

وكان واقفا أمام المرآة وهو يسوى ثيابه ، عندما لاحظ نظرات مريبة وناقمة من الخادم ، كان يرمقه بها قبل أن يدفع بالمنضدة أمامه .

فقال لنفسه :

ـ لعله ناقم لأننى أرهقته بالحضور إلى حجرتى مرتين ، دون تناول الطعام الذى أحضره .

ولكن الرجل كاد أن يتعثر فى خطوته فى أثناء انصرافه .. على نحو كادت معه المائدة أن تنقلب على الأرض .

ولمح (ممدوح) نظرة الفزع فى عين الرجل ، وهو يسارع بوضع يده فوق الغطاء الفضى ، ليحول دون سقوطه .. فاستوقفه قائلا وهو يغادر حجرته إلى الردهه :

ـ لا داعى لكل هذا الاضطراب .. فأنا مستعد لتحمل الخسائر .

تلعثم الخادم وهو يقول :

ـ أشكرك على هذا الكرم يا سيدى .

ولكن (ممدوح) عاد ليلمح شيئا يتحرك من أسفل الغطاء الفضى .. وبدا له للحظة أن هذا الشىء هو طرف صغير لذيل ثعبان .. وأنه قد نفذ من أسفل حافة الغطاء فى اللحظة التى تعثرت فيها قدم الرجل ، وكادت المنضدة أن تسقط منه على الأرض . وعاد الخادم ليدفع بالمنضدة أمامه مرة أخرى .

ولكن (ممدوح) استوقفه من جديد قائلا بلهجة صارمة :

ـ ارفع هذا الغطاء .

اضطرب الرجل لدى سماعه لهذا الأمر .. وظل واقفا مكانه دون أن يقدم على تنفيذه .

وفى هذه المرة أخرج (ممدوح) مسدسه ليصوبه إلى الخادم الذى كان يرتعد فى مكانه قائلا :

ـ قلت لك ارفع هذا الغطاء .

وكان قوله فى هذه المرة صارمًا .. وحاسمًا .

* * *



٨ ــ مائدة الموت ..

تظاهر الرجل بالانصياع لأمر (ممدوح) .. فمد يده إلى الغطاء الفضى كما لو كان يهم برفعه .

ولكنه دفع بالمنضدة ذات العجلات بقوة فى اتجاه (ممدوح) .. لتصطدم بساقيه ، ثم انطلق هاربًا من الباب المفتوح .

وتساقطت صحاف الطعام من فوق المائدة إلى الأرض على إثر اختلال توازنها .

وسقط معها ذلك الوعاء ذو الغطاء الفضى .

وبرغم الآلام التى أصابت ساقى (ممدوح) إلا أنه ألقى بنفسه سريعًا فوق الأريكة التى تتوسط الردهة .. وقد قدر ما يمكن أن يحويه هذا الوعاء من خطر ربما هدد حياته .

وسرعان ما تبين له صدق حدسه .. إذ رأى ثلاث حيات من النوع القاتل ، التى تثب على ضحيتها مسافة قد تصل إلى أكثر من متر لتنفث فيها سمها وتقضى عليها فى الحال .

ورأى اثنتين من هذه الحيات القاتلة وهى تثب لتتعلق بظهر مسند الأريكة التى وثب إليها فى حين تعلقت الثالثة بالجدار .

وتصبَّب (ممدوح) عرقا .. إذ لم يكن الأمر يحتاج منه لأكثر من أن يكشف الغطاء عن هذا الوعاء ، وهو جالس أمام تلك المائدة ، ليجد تلك الحيات الثلاث ، وقد قفزت من داخله لتتعلق بوجهه وجسده ، فتقضى عليه فى الحال .

وكان الأمر سيعزى فى هذه الحالة إلى حادث قدرى ... ويفسر على أن الحيات الثلاث قد تسللت إلى الشاليه من النافذة أومن أسفل الباب ... وهذا أمر ليس بمستغرب فى بلد إفريقى تحوطه الغابات من كل جانب .

وكان على (ممدوح) أن يتخلص من الحيات الثلاث قبل أن يفكر فى مغادرة الشاليه ، وتناول عشائه .. خاصة وأن رؤيته لهذه الحيات قد أفسدت عليه شهيته فقام بتزويد مسدسه بكاتم للصوت .. ثم أطلق منه رصاصتين على الحيتين الملتصقتين بمسند الأريكة فقتلهما فى الحال .

وبينما كان يهم بتصويب طلقة أخرى إلى الحية الملتصقة بالجدار .. لمح باب الشاليه وهو يفتح ..

فألصق ظهره بالحائط المجاور للباب ، بعد أن أطفأ نور الردهة .

وما لبث أن وجد شخصًا يحاول التسلل خلسة إلى المكان ، وقد شهر مسدسه .

وانتظر (ممدوح) حتى مر ذلك الشخص بالباب إلى الداخل .

ثم وضع يده على زر النور ليضىء الردهة ، فى حين امتدت يده الأخرى بالمسدس الذى يحمله ، لتلصق فوهته بمؤخرة رأس ذلك الدخيل الذى ارتبك لإضاءة أنوار الردهه فجأة ، و (ممدوح) يقول :

ـ ألق بمسدسك على الأرض .. واستدر ببطء .

أحس الرجل بماسورة المسدس تضغط على جمجمته .. فلم يملك إلا إطاعة الأمر الصادر .. واستدار لمواجهة (ممدوح) ، الذى سأله :

ـ من أنت ؟

ـ أجابه الزنجى وهو يتنفس الصعداء :

ـ أنت المقدم (ممدوح عبد الوهاب) .. لقد أخفتنى .

قال له (ممدوح) وهو مستمر فى تصويب مسدسه ، دون أن يبدو أى تبدل فى ملامحه أو صوته :

ـ إنك لم تجب سؤالى بعد .

قال الرجل وهو يهم بخفض ذراعيه :

ـ إننى صديق .

صاح فيه (ممدوح) :

ـ لم أطلب منك أن تخفض يديك .. لو حاولت أن تخفضهما مرة أخرى فسأطيح برأسك .

عاد الرجل ليرفع يديه عاليًا .. فى حين أردف (ممدوح) :

ـ والآن .. ماذا تعنى بكلمة صديق هذه ؟. إننى لم أر أصدقاء يتسللون إلى حجرات الآخرين فى الظلام بمفاتيح مصطنعة .

قال له الرجل :

ـ ولكنى موفد من (بوكو) لمساعدتك .. وقد كنت فى طريقى إلى الشاليه لمقابلتك ، عندما سمعت صوت طلقتين صادرتين من مسدس مزود بكاتم للصوت داخل الشاليه ، فظننت أن هناك صراعًا يدور بالداخل ، وأنك ربما تتعرض للخطر ، مما دعانى إلى التسلل إلى الشاليه والدخول على هذا النحو .

(ممدوح) :

ـ حسن .. يا صديقى .. ما زلت غير مقتنع بهذا التبرير .

قال له الرجل سريعًا :

ـ هل يقنعك لو سألتك عن أخبار الأهرامات الثلاثة فى مصر ؟ وكانت هذه هى كلمة السر المتفق عليها .. فخفض (ممدوح) مسدسه ، وقال له الرجل متبرمًا :

ـ حسن .. هل أستطيع أن أخفض ذراعى الآن ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .. تستطيع ذلك .

وفجأة صاح فيه (ممدوح) وهو يصوب مسدسه فى اتجاهه مرة أخرى قائلا :

ـ انتظر .. قف مكانك ولا تتحرك خطوة واحدة .

اضطرب الرجل قائلا :

ـ ماذا حدث ؟.. أما زلت غير واثق بى ؟

قال له (ممدوح) وهو يصوب مسدسه إلى ما بين ساقيه :

ـ أنظر أسفل قدميك .

نظر الرجل كما طلب منه (ممدوح) إلى ما بين قدميه ، ليجد الحية تقف فى المسافة التى تفصل بين قدميه تمامًا .. بعد أن قفزت من فوق الجدار إلى الأرض فى أثناء حديث (ممدوح) مع الرجل .

وأطلت نظرة فزع من عينى الرجل ، وقد أخذ العرق

يتصبب من وجهه عندما وقعت عيناه على هذه الحية القاتلة .

وهمس قائلا :

ـ إنها ستفتك بى .

قال له (ممدوح) بصوت هادئ النبرات :

ـ المهم أن تبقى كما أنت وألا تتحرك من مكانك .. فهذا النوع من الحيات سريع الحساسية .. ويمكن أن تجدها وقد التصقت بأحد فخذيك لو حاولت أن تنقل قدميك خطوة واحدة أماما أو خلفا .

سأله الرجل قائلا :

ـ ماذا ستفعل ؟

قال له (ممدوح) وهو مستمر فى تصويب مسدسه إلى رأس الحية :

ـ كما ترى .. إننى أحاول أن أحسن التصويب .. فالأمر لا يحتمل الخطأ .

ولم يكد ينهى جملته حتى أطلق رصاصة من مسدسه أطاحت برأس الحية وقذفتها بعيدا .

وأردف وهو يعيد المسدس إلى جرابه :

ـ هكذا .

أطلق الرجل زفرة حارة من صدره قائلا :



قال له (ممدوح) وهو يصوب مسدسه إلى ما بين ساقيه :

ـ انظر أسفل قدميك ..

ظننت أننى انتهيت .. فأنا أعرف مثلك مدى خطورة هذا النوع من الحيات .

أشار (ممدوح) إلى الحيتين الأخريين قائلا :

ـ توجد اثنتان أخريان فى هذا المكان فوق أرضية الردهة .

قال الرجل :

ـ إذن .. فهذا سر الطلقات الصامتة .

ومد يده ليصافحه وهو يردف قائلا :

ـ على كل حال يتعين على أن أشكرك .. فقد أنقذت حياتى .. برغم أننى جئت إلى هنا لتقديم المعاونة لك . أعرفك بنفسى ، إننى أدعى (كالوشا) .

صافحه (ممدوح) قائلا :

ـ وما نوع المساعدة التى يمكنك أن تقدمها لى ؟

(كالوشا) :

ـ لقد توصلت إلى مقر الرجل الثانى فى منظمة (الغوريلا) .. إنه يقيم فى فيلا كبيرة . محاطة بالأشجار وقريبة من الغابات .

وبما أنه الرجل الثانى فى المنظمة .. فلا بد أن لديه معلومات يمكن أن تفيدك بشأن المهمة التى جئت من أجلها .

(ممدوح) :

ـ حسن .. هل تستطيع أن تقودنى إلى هناك ؟

(كالوشا) :

ـ سأصطحبك إلى هناك فى الدقائق الأولى من صباح الغد .

(ممدوح) :

ـ إذن سأبحث لنفسى عن مكان أتناول فيه عشائى ، بعيدا عن هذه الحيات البشعة .. ثم أحصل على قسط من النوم لكى أكون متأهبا للذهاب معك غدا .

(كالوشا) :

ـ سأمر عليك لاصطحابك فى السادسة صباحا .. وأرجو لك ليلة طيبة .

رمقه (ممدوح) بنظرة فاحصة فى أثناء انصرافه .. ثم تبعه عن كثب حتى وجده يدخل إلى أحد شاليهات الفندق .

فوثب إلى شرفة الشاليه المنخفضة ، ثم ألقى نظرة عبر فتحات الشيش ليجد (كالوشا) وهو يتحدث إلى ذلك العملاق الأسود ، الذى تصارع معه فى المتجر الأنيق ، والذى قام بوضعه فى الثلاجة .

وبعد محادثة قصيرة انصرف ذلك العملاق من الشاليه ..

فى حين عاد (ممدوح) ليثب إلى الحديقة المحيطة بالمكان .

ثم توجه إلى مطعم الفندق حيث طلب لنفسه طعاما .

وبينما هو جالس يتناول طعامه ، سمع صوتا يأتى من خلفه قائلا :

ـ هل تسمح لى أن أشاركك مائدتك ؟

كان صوت الرجل مميزا لدى (ممدوح) .. لذا دعاه إلى الجلوس قائلا :

ـ أجلس يا (بوكو) .. هل أطلب لك شرابا ؟

قال (بوكو) سريعا .

ـ كلا .. إننى سأنصرف سريعا .. لقد جئت فقط لأنبهك إلى أن بين أفراد المجموعة التى تعمل تحت إمرتى ، والمكلفة بمعاونتك فى مهمتك خائنا .. وأنه يعرف خطواتك جيدا ، ويقوم بنقل أسرارنا إلى (جوناثان) ومنظمته .

قال له ممدوح بهدوء :

ـ أعرف ذلك

(بوكو) :

ـ كيف ؟

(ممدوح) :

ـ لقد وجدت أنه من الغريب أن يعلم (جوناثان) بأمر حضورى إلى (كينيا) والمهمة التى جئت من أجلها على هذا النحو الغريب .

كما أننى وجدت أجهزة تصنت فى الفندق الجديد الذى نقلتنى إليه .. وتعرضت لمحاولة قتل منذ نصف ساعة فقط فى الشاليه الذى كنت أقيم فيه .. وهذا يعنى أن هناك من ينقل أسرار تحركاتى .. وهناك من يعلمها أولا فأولا .

ولا أخفى عليك .. لقد كنت أشك فيك أنت نفسك يا (بوكو) .. لو لم تأتى الآن وتحذرنى .. ولولا أننى رأيت ذلك الرجل الذى أرسلته لى ليرافقنى غدا إلى أحد أوكار المنظمة كما يدعى ، يحادث شخصا من أعضائها .

(بوكو) :

ـ إذن .. فقد جاء إليك .. لقد ظننت أننى سبقته إلى هذا المكان .

(ممدوح) :

ـ إنه لا يريد أن يضيع الوقت .. فيبدو أن (جوناثان) ومنظمته يريدون التخلص منى بأى وسيلة .. سواء كانت بوضعى فى ثلاجة لدرجة التجمد ، أو مفاجأتى بحساء الحيات السامة فى طعام عشائى ..

أو بتجنيد أحد أعوانك للعمل لحسابهم ، واستخدامه لكى يقودنى إلى أحد الفخاخ التى نصبوها لى .

قال (بوكو) وهو يضع يده على جراب المسدس المختفى داخل سترته :

ــ على كل حال لقد جئت لتصفيته .. الخونة لا يستحقون إلا القتل ، وهذا عمل أؤديه بنفسى ولا أكلف به آخرين .

وهم بالنهوض .. ولكن (ممدوح) أجلسه قائلا :

ــ لا داعى لهذا الآن .. إننى سأدع هذا الرجل يقودنى إلى الشرك الذى نصبوه .

(بوكو) :

ـ ماذا تعنى ؟

(ممدوح) :

ــ أعنى أنه سواء كان هذا الرجل الثانى الذى يدعيه موجودًا بالفعل ويرغب فى لقائى أو قتلى .. فإننى سأرحب بالذهاب إلى وكره .. وتأكد أننى لن أمكنه من تنفيذ ما أراده .. بل سأستخدمه فى تحقيق هدفى .. هذا فقط ما سأفعله .

* * *

٩ ــ الكميـن ..

استقل (ممدوح) السيارة مع (كالوشا) الذى توجه بها صوب منطقة قريبة من الأدغال .

ثم ما لبث أن أوقف السيارة قائلا :

ــ من الأفضل أن نتابع طريقنا من هنا سيرا على الأقدام .. فالطريقة المثلى للوصول إلى منزل الرجل الذى نقصده هى أن نأتى إليه عن طريق الأدغال ، لأن المكان من هنا مكشوف .

وفى تلك اللحظة فى مكان آخر يبعد عن هذا المكان مائة كيلو متر داخل إحدى المغارات الجبلية ، التى تختفى وسط الأدغال .. كان (جوناثان) جالسًا فوق مقعد حجرى ، وقد تعرى جسده عدا سروال قصير يلتف حول وسطه .. وقد التف حوله مجموعة من أعوانه .. فى حين افترش أرض المغارة الواسعة التى أضاءتها المشاعل عشرات من رجال القبائل البدائية الزنجية .

وفى جدار المغارة الخلفى .. انتصبت غوريلا ضخمة

تم تحنيطها وتثبيتها على الجدار لتضفى عليه مزيدا من الرهبة .

وبدا (جوناثان) فى هذا المكان مختلفا تماما عن رجل العصابات ، الذى يدير واحدة من أكبر المنظمات الإجرامية .. بل كان أشبه بزعيم قبيلة من تلك القبائل البدائية ، التى تنتشر فى الغابات الإفريقية .. وقد أضفت عليه تلك الأصباغ التى لطخ بها وجهه مظهرا وحشيا يبعث الرجفة فى الأوصال .

ورفع (جوناثان) يده عاليا .. فقام بعض رجال القبائل بالدق على الطبول فى ترنيمة غريبة .. ثم بدأ الجميع فى هز رءوسهم وأيديهم بطريقة أشبه بالابتهالات .

وصاح (جوناثان) بصوت جهورى جلجل داخل المغارة :

– يا أتباع (الغوريلا) .. يامن تدينون لى بالولاء والطاعة .. فلتعلنوا عن ولائكم لى وللغوريلا ملك الأدغال .. ولتعملوا على تطهير هذا المكان من الأرواح الشريرة .

وعند ذلك قام أحد الزنوج وقد وضع قناعا مخيفا فوق وجهه ، وبدا أنه يقوم بدور الساحر .. حيث أخذ فى

الإتيان ببعض الحركات الهستيرية العنيفة ، وعلى الأثر نهض (جوناثان) بدوره من فوق مقعده الحجرى ، حيث أخذ يضرب على صدره بكلتا يديه فى قوة كما تفعل الغوريلات .

وما كاد يفعل ذلك حتى ارتفع صوت دقات الطبول فى المكان ، ونهض الزنوج الذين كانوا يفترشون أرضية المغارة ، حيث انخرطوا فى رقص عنيف وقد تعالى صياحهم .

وراقب (جوناثان) ما يدور أمامه وهو يبتسم .. ثم عاد ليجلس فوق مقعده الحجرى متابعا تلك الطقوس الغريبة .

وسأله أحد أتباعه قائلا :

– إننى لا أدرى كيف استطعت أن تؤثر على هؤلاء البدائيين ، وتسيطر عليهم على هذا النحو ، برغم أنك لست من هذه البلاد .

قال له (جوناثان) وهو مستمر فى مراقبة ما يدور أمامه والابتسامة على وجهه :

– الأمر بسيط .. لقد درست علم النفس فى (البرازيل) قبل أن أصبح زعيما لهذه المنظمة .. كما أن لى أعوانا هنا وفى عدد من البلاد الإفريقية الأخرى

من أهل هذه البلاد .. وبعضهم ينحدر من قبائل زنجية لها طقوسها ومعتقداتها البدائية .. وقد أطلعونى عليها .

وهكذا وبشىء من التأثير النفسى وإضفاء مظهر يبعث على الرهبة فى شخصيتك .. مع استغلال مظاهر تلك الطقوس والمعتقدات القديمة ، يمكنك إخضاع هؤلاء الزنوج لسلطانك تماما .

وهذا يضمن لى القوة والسيطرة والحماية التى أبغيها .. فى تنفيذ أعمالى ، كما يؤمن لى موقعا ممتازا بعيدا عن أعين رجال الشرطة وسط هذه الأحراش المخيفة .

وفى تلك اللحظة حضر أحد أعوان (جوناثان) ليهمس له قائلا :

ـ لقد حضر ذلك الرجل من (جومو) (*)

(★) ملحوظة : (جومو) اسم لدولة إفريقية من وحى خيال المؤلف ولا وجود لها على الخريطة حيث اقتضى الخيال الروائى وحساسية الموضوع عدم اختيار اسم دولة حقيقية كما سيظهر فى بقية أحداث الرواية .

(جوناثان) :

ـ دعه يدخل .

أشار (جوناثان) بيده عاليا لكى تتوقف الطبول .. وتوقفت معها على الأثر تلك الرقصات الإفريقية العنيفة التى يؤديها هؤلاء الزنوج ، ثم طلب منهم الاصطفاف على جانبى المغارة .. فالتزموا بأوامره ووقفوا على جانبى المغارة فى خضوع ، وقد عاد المكان ليخيّم عليه الهدوء المشوب بالرهبة .

وبعد قليل دخل شخص زنجىّ يرتدى الملابس الأوربية ، ومعه اثنان من أعوان (جوناثان) ، حيث أخذ يتأمل المكان حوله ، وعلى وجهه ملامح الدهشة المقترنة بالخوف .

ومد له الرجل يده ليصافحه قائلا :

ـ يسعدنى أن ألتقى بك يا عزيزى (جوناثان) مرة أخرى .. وإن كنت أفضل أن يتم هذا اللقاء بعيدا عن هذا المكان المقبض .

صافحه (جوناثان) بتثاقل وهو جالس فى مكانه قائلا :

ـ ما الذى أتى بك يا (فوتو) ؟

قال ذلك المدعو (فوتو) :

ــ إننا فى طريقنا للإيقاع بذلك المصرى الذى تبغى التخلص منه .

(جوناثان) :

ــ لن أعترف بأنكم قد أوقعتم به فعلا إلا بعد أن يتم ذلك .

(فوتو) :

ــ سيتم ذلك فقد قام أحد عملائنا باجتذابه إلى شرك أعد له بعناية وسوف نحضر لك جثته قريبا .

(جوناثان) :

ــ أتمنى أن تفعلوا ذلك .. لقد كنت أرغب فى البداية أن أحتفظ بذلك الرجل رهينة لى ، لأننى قدرت أنه يمكننى أن أستفيد منه فيما بعد .. لكن صوت العقل يقتضى منى الان أن أزيحه تماما عن طريقى ، بعد ماتبينته من خطورته ، وما يمكن أن يسببه لى من متاعب .

(فوتو) :

ــ لقد عرضنا عليك منذ البداية أن توكل لنا هذه المهمة .

(جوناثان) :

ــ وقد وافقت على ذلك .

(فوتو) :

ــ ومع ذلك .. فقد تدخلت فى عملنا بالأمس ، واستخدمت أحد أعوانك لقتله بوساطة الحيات السامة .. برغم أنك تعرف أن ذلك قد يجذب الأنظار إلينا ، خاصة فى فندق كبير كهذا .

ابتسم (جوناثان) قائلا :

ــ لا بأس أن نتعاون معا ما دام الهدف واحد .. ومع ذلك فقد أفلح فى التخلص من الحيات السامة .. برغم أنها وسيلة مأمونة للقتل ولا تلفت الأنظار كما تدعى .. لأن وجود تلك الحيات السامة أمر وارد دائما فى عاصمة إفريقية مثل (نيروبى) .

(فوتو) :

ــ على كل حال إذا كان قد أفلت من وسيلتك لقتله فلن يفلت من وسيلتنا ، ولكن التخلص من شخص خطير كهذا سيكون له ثمنه بالطبع .

(جوناثان) :

ــ ماذا تعنى ؟

(فوتو) :

أعنى أننا لو سلمنا جثة ذلك العميل المصرى ، فإننا ننتظر فى المقابل أن تنفذ ما اتفقنا عليه ، وأن تخفف من شروطك التى عرضتها مسبقا .

قال له (جوناثان) وقد تبدلت ملامحه :

إذن فقد جئت من أجل المساومة .

(فوتو) :

ـ أنت الذى بدأت بمساومتنا .. ونحن نقدم لك خدمة بتخليصك من المصرى ، بعد أن حملنا هذا الأمر على عاتقنا ، دون كشف خفايا منظمة (الغوريلا) وتعريض رجالك للخطر .

ابتسم (جوناثان) قائلاً :

لن تخدعنى بهذه الكلمات ، فأنت تعرف جيداً أن المصلحة بيننا مشتركة ، وأنكم تحتاجون إلى إبعاد هذا الرجل بنفس القدر الذى أريد به إبعاده .

(فوتو) :

ـ نعم .. لكن لابد أن يكون لمساعدتنا ثمن .. والثمن الذى نريده هو خفض المبلغ الذى تريده فى مقابل العمل الذى طلبناه منك .

(جوناثان) :

ـ سأنظر فى ذلك الأمر .. ولكن بعد أن أرى بعينىّ جثة ذلك المصرى .

والآن تستطيع أن تنصرف .

حاول (فوتو) أن يعقب بكلمة أخرى .. لكن أحد

أعوان (جوناثان) قبض على ذراعه ، واصطحبه إلى خارج المغارة .

وعند ذلك أشار (جوناثان) مرة أخرى بيده وهو يرفع ذراعه إلى أعلى فتصاعدت دقات الطبول وعاد الزنوج لرقصهم الهستيرى .

* * *

كان (ممدوح) قد قطع شوطاً طويلاً فى السير داخل الأحراش ، وقد جعل (كالوشا) يتقدمه فى حين حرص هو على أن يكون فى الخلف .

ثم توقف (كالوشا) أمام مجموعة من الأشجار المتشابكة حيث أزاح بعضها وهو يشير من خلال فرجة صغيرة قائلاً :

ـ أنظر هناك .

نظر (ممدوح) من خلال الفرجة التى تخلفت عن إزاحة الأشجار ليرى فيلا أنيقة ترتفع فوق تل صغير .. وقد أحيطت بسور من الأسلاك الشائكة .

وقال له (كالوشا) :

ـ فى هذه الفيلا يوجد أحد الأعضاء المهمين فى منظمة (الغوريلا) .. وربما وجدت أعضاء المنتخب المصرى سجناء بداخلها .

قال (ممدوح) وهو يتطلع إلى الفيلا :

ــ موقع ممتاز .. لقد أقيمت هذه الفيلا فوق تل صغير يطل على منطقة سهلية خالية من الأشجار ، مما يسهل كشف أى متسلل يحاول أن يتسلل إليها .

لكن من الغريب أننى لا أرى فيها ما يدل على وجود أى حياة .. ولا حراس ولا رجال مسلحين يؤمنونها .

ربما أن لديهم وسائل أخرى لاكتشاف المتسللين ... وربما أن هؤلاء المسلحين يظهرون فى الوقت المناسب .

(كالوشا) :

ــ أعتقد أنك ستنتظر حتى يحل الظلام ، قبل أن تفكر فى التسلل إلى هذه الفيلا .

(ممدوح) :

ــ ولماذا ننتظر الظلام ؟ لِمَ لا نبدأ من الآن ؟

نظر إليه (كالوشا) فى دهشة قائلاً :

ــ ولكن فى هذا مخاطرة كبيرة بالنسبة لك .. فالمكان مكشوف والشمس ساطعة .

(ممدوح) :

ــ قد يكون هذا فى مصلحتنا فالشمس تواجه سكان هذه الفيلا .

(كالوشا) :

ــ إن هذا لن يكون عائقًا كبيرًا بالنسبة لهم .

(ممدوح) :

ــ لابد من وجود قدر من الخاطرة .

(كالوشا) :

ــ على كل حال إن مهمتى تنحصر فى مساعدتك على الوصول إلى هذا المكان ثم العمل على تأمينك أى حماية ظهرك حتى تنتهى من القيام بعملك .

تناول (ممدوح) مسدسه ليصوبه إلى الرجل قائلاً :

ــ وأنا أقول إنك ستتقدمنى فى اقتحام هذا المكان .

نظر (كالوشا) إلى المسدس المصوب إليه قائلاً بانزعاج :

ــ مستر (ممدوح) إننا فريق واحد .. أنسيت هذا ؟

قال (ممدوح) وهو مستمر فى تصويب مسدسه :

ــ لم أنس ؛ لذا سترافقنى فى التسلل إلى هذا المكان لتثبت لى أننا فريق واحد .

ارتسمت ملامح الخوف على وجهه وهو يقول :

ــ ولكن لا أستطيع ذلك .

(ممدوح) :

ــ لماذا ؟ هل أنت خائف ؟

(كالوشا) :

(بوكو) كلفنــى بمهمــة محــددة ، ولا أســتطيع أن أخاطر بأكثر من ذلك .

(ممدوح) :

أهو (بوكو) الذى كلفك بتلك المهمة حقًا أم آخرين ؟

(كالوشا) :

ـ آخرين .. ماذا تعنى ؟

(ممدوح) :

ـ أعنى منظمة (الغوريلا) مثلاً .

صاح (كالوشا) قائلا :

ـ مستر (ممدوح) ماذا تقول ؟ هل تعتقد أننــى خائن ؟

(ممدوح) :

ـ أنا لا أعتقد .. بل أثق فــى ذلـك وأظن أن المهمـة التـى كلفت بهـا هـى استدراجى إلـى هنـا لكـى يســهل التخلص منى .

(كالوشا) :

ولكنك مخطئ فى اعتقادك هذا .. إننى فى صفك .

(ممدوح) :

ـ حسن .. أثبت لى ذلك .. تقدمنى .

(كالوشا) :

ـ ولكنك تعرضنى بذلك للخطر .

(ممدوح) :

ـ لقد قلت لك منذ البداية إن العمل يقتضى قدرا من المخاطرة . وبالطبع لو كنت تعمل فى صف الآخريـن .. كما لا زلت أعتقد ، فإنك ستتبين الشراك الخداعية التـى نصبوها لى ، مما يقلل من المخاطر .

ولم يكن أمام (كالوشا) سوى الطاعة ..

وتقدم الإثنان إلى الفيلا .

وبدأ الخطر .

* * *



١٠ ـ المغامر ..

تقدم (كالوشا) بحذر وخلفه (ممدوح) متجهًا صوب الفيلا ، حيث اجتازا بعض الأعمدة الرخامية .

وفجأة تنحى (كالوشا) جانبًا ، ملقيًا بنفسه على الأرض ، فى حين ظهرت فجوة فى أحد الأعمدة التى تواجه (ممدوح) برزت منها فوهة مدفع آلى .

وبسرعة البرق كان (ممدوح) قد انبطح على الأرض بدوره فى نفس اللحظة التى أخذ المدفع يعمل فيها أتوماتيكيًا وهو ينثر طلقاته يمينًا وشمالاً .

وقام (ممدوح) بالزحف على الأرض بكوعيه وركبتيه محاولاً تجنب هذه الأعمدة .

اهتزت الأرض تحته لتنشق فجأة كاشفة عن فجوة متسعة .

وكاد أن يسقط فيها لولا أنه تمكن من التعلق بحافتها .

وعندما نظر إلى أسفل وجد حفرة من النيران الملتهبة

تكاد ألسنتها تبلغ قدميه ، وأدرك أى مصير كان ينتظره لو لم يتعلق بحافة الحفرة على هذا النحو ، فأخذ يجاهد لكى يحاول تسلقها ويلقى بصدره على الأرض مرة أخرى .

ولكنه لم يلبث أن أحسَ باضطراب شديد عندما أفلتت يده إثر انهيار جزء من الحافة تحت ثقلها .

ووجد نفسه متعلقًا بحافة تلك الحفرة النارية بيد واحدة فقط فى حين تدلت يده الأخرى إلى جانبه .

وحاول التعلق بالحافة مرة أخرى ولكنه رأى أمامه (كالوشا) واقفًا وفى عينيه نظرة ساخرة .

وبقى (ممدوح) محتفظًا بذراعه الأخرى مدلاة بجانبه وهو متعلق بحافة الحفرة بيد واحدة .

كان الخطر ماثلاً أمامه من جهتين . أولاً : من ذلك الرجل الواقف أمامه ، وثانيًا من أن يكون ذلك الجزء من حافة الحفرة الذى تعلق به ضعيفًا وهشًا مثل الجزء الذى انهار فلا تستطيع ذراعه أن تحمله ، ويهوى فوق النيران المشتعلة .

قال له (كالوشا) ساخرًا :

ـ وداعًا يا عزيزى .. وأرجو لك شواءً طيبًا .

ثم رفع حذاءه عاليًا ليضرب به يد (ممدوح) المعلقة بالحافة .



وحاول التعلق بالحافة مرة أخرى ولكنه رأى أمامه (كالوشا) واقفًا .
وفى عينيه نظرة ساخرة ..

وتألم (ممدوح) بشدة وكادت أصابعه تفلت حافة الحفرة ، وهم (كالوشا) بأن يدهس يده مرة أخرى بحذائه .

ولكن (ممدوح) سارع برفع يده المدلاة بجانبه عاليًا ليتعلق بالقدم المرفوعة لتطأه .

فاختل توازن غريمه وسقط على الأرض ، وقد أصبحت قدماه فوق الحافة .

ولكن (ممدوح) ظل متشبثا بقدمه بكل قوته .

وارتعد (كالوشا) وهو يحاول التخلص من أصابع (ممدوح) القوية خوفا من أن يجذبه معه الى الحفرة النارية .

وبالفعل أخذ (ممدوح) يجره على الأرض ، وهو متعلق بقدميه بكل مالديه من قوة وأخذ (كالوشا) يزحف فى الاتجاه العكسى ، محاولا مقاومة اليد التى تجذبه .

وقد كان هذا هو ما يبغيه (ممدوح) .. فقد ساعدته مقاومة الرجل فى أن يرتفع بصدره فوق حافة الحفرة .. حيث استطاع أن يدفع بجسده خارجها بعد أن تخلى عن قدم غريمه .

واستطاع (كالوشا) أن ينهض مرة أخرى على

قدميه ، قبل أن يتمكن (ممدوح) من ذلك .. فسارع بتسديد ركلة قوية إلى وجهه أطاحت به على الأرض مرة أخرى ، وجعلت رأسه مدلاة فوق حافة الحفرة النارية ، ثم جثم فوقه وهو يسدد إليه اللكمات ، محاولا أن يفقده الوعى ، ثم يلقى به فى حفرة النار من جديد .

وكاد (ممدوح) أن يفقد وعيه من أثر اللكمات التى تلقاها .. لكنه سرعان ما قاوم شعوره بالإعياء .. وتشبث بياقة سترة غريمه ، وهو يثنى ركبته إلى بطنه واضعا قدميه فى صدر (كالوشا) .

وبكل ما أوتى من قوة تمكن من رفع خصمه الجاثم فوقه عاليا من فوق جسده وهو يطيح به إلى الوراء ملقيا به إلى الحفرة النارية .

وأطلق (كالوشا) صرخة مدوية وهو يهوى إلى النيران المشتعلة .

ونهض (ممدوح) سريعا وهو ينفض عن نفسه التراب .. ثم ألقى نظرة على المكان حوله .. وعلى ذلك المنزل القائم فوق ربوة عالية وهو يقول لنفسه :

ــ ترى .. أى فخاخ أخرى تنتظرنى قبل أن أفلح فى الوصول إلى هذا المنزل ؟

وتقدم خطوتين أخريين إلى الأمام وفى هذه المرة

انطلقت رصاصتان من فوق الربوة لتدوى فوق رأسه وبجوار أذنه .

فسار بالانبطاح أرضا .. ثم رفع عينيه قليلا وهو ينظر فى اتجاه الربوة قائلا :

ــ يبدو أنهم قد عادوا إلى الطرق التقليدية .

ومرت رصاصة أخرى فوق رأسه فأسرع بالزحف على الأرض ليحتمى بأحد الأعمدة الرخامية .

وهمس قائلا لنفسه بعد أن رأى رصاصة أخرى تمرق إلى جواره لتصطدم بالعمود الرخامى :

ــ يبدو أن الصعود إلى أعلى لن يكون أمرا هينا بأى حال من الأحوال .

ونظر إلى السماء قائلا :

ــ إذن لماذا لا نهبط على ذلك المنزل من السماء بدلا من الصعود إليه ؟

وعاد (ممدوح) للانبطاح على الأرض ، وهو يزحف سريعا عائدا من حيث أتى وقد اتخذ من الأعمدة الرخامية ساترا له .

واجتاز الأسلاك الشائكة تتبعه طلقات الرصاص ، حتى استطاع أن يخترق مجموعة الأشجار المتشابكة التى تطل على المكان مرة أخرى .

وما كاد أن يجثو على إحدى ركبتيه محاولا مساعدة نفسه على النهوض حتى التقطت أذناه صوت حفيف الأشجار وراء ظهره ، فسارع بالاستلقاء على أحد جانبيه مرة أخرى فى اللحظة التى هوت فيها سكين حادة كادت أن تفصل عنقه عن جسده .

وجاءت سقطة (ممدوح) فى الوقت المناسب تماما على النحو الذى مكنه من إنقاذ عنقه من البتر .. وبدلا من ذلك أطارت السكين عددا ما من الأغصان وأفرع الشجر .

ودفع (ممدوح) برأسه فى أمعاء الرجل الذى هاجمه بسكينه ملقيا به بين الأشجار .

ثم قبض على يده الممسكة بالسكين .. وأخذ يدفعها بقوة فى أحد جذوع الأشجار حتى نجح فى إجباره على إفلاتها ، وانهال عليه بلكمتين قويتين جعلتاه يغيب عن الوعى تماما .. ثم عمل على تقييده وإخفائه بين الأشجار .

وعاد إلى حيث توجد السيارة التى غادرها هو و(كالوشا) وفتح حقيبتها الخلفية ليخرج منها حقيبته الجلدية قائلا لنفسه .

ــ لقد أحسنت صنعا بإحضارها معى .

ثم علق أحزمتها حول صدره جاعلا الحقيبة ذاتها خلف

ظهره .. وعاد ليخترق المنطقة الدغلية مرة أخرى من حيث أتى .

ودار حول المنزل المقام فوق الربوة العالية ، مخترقًا الأحراش ، ثم نزع سدادتين كانتا تلتصقان بقاع الحقيبة ، فانتفخت الحقيبة على الفور وبرزت أنبوبتان صغيرتان من المطاط فى أعلاها ، أخذتا تنفثان بخارًا شديدًا وكأن الحقيبة تطرده إلى أعلى .

وسرعان ماتحول هذا البخار المندفع من الأنبوبتين المطاطيتين إلى قوة محركة جعلت (ممدوح) يرتفع عن الأرض تدريجيًا .

وما لبث أن أصبح يحلق عاليًا إلى ارتفاع يفوق ارتفاع المنزل العالى وأدار مؤشرين صغيرين مثبتين على أحزمة الحقيبة الملتفة حول صدره ، فأخذ يسبح فى الهواء فى اتجاه المنزل .

وبينما كان يحلق فى الهواء ، لمح أحد الأشخاص المسلحين واقفا فى الفناء الخلفى للمنزل وقد أولاه ظهره .

فعاد لإدارة المؤشرين الصغيرين فى أحزمة الحقيبة ، ليهبط تدريجيًا فى اتجاه الرجل المسلح .

وما إن أصبح فوقه حتى أطلق صفيرًا صغيرًا من شفتيه .

واستدار الرجل بحثًا عن مصدر هذا الصفير ، لتعلو وجهه الدهشة فقد فوجئ بهذا الرجل يحلق فى الهواء .

وقبل أن يقدم على أى تصرف استغل (ممدوح) تأثير المفاجأة ليسدد له ركلة قوية بقدمه فى وجهه أطاحت به أرضًا .

ثم أعاد السدادتين إلى ما كانتا عليه ليهبط مرة أخرى منقضًا على الرجل وهو ينهال عليه بلكمة قوية أنهت مقاومته فى الحال .

وما إن تخلص (ممدوح) من الرجل حتى فوجئ بشخص آخر يأتى من خلفه يصيح فيه :

ـ ارفع يديك عاليًا .. وحذار من الإقدام على أية حركة أخرى وإلا أطلقت عليك الرصاص .

تظاهر (ممدوح) بالاستسلام للأمر .. لكن فى اللحظة التى رفع فيها يديه إلى أعلى كان قد نجح فى أن يجذب خنجرًا من جراب صغير معلق فى الحزام الملتف حول صدره ليحتفظ به فى يده .

وعاد الرجل ليقول بلهجة آمرة :

ـ استدر لتواجهنى .. ولكن ببطء .

ولكن (ممدوح) لم يتمثل للأمر الصادر إليه هذه المرة . بل استدار سريعًا وهو يدور حول نفسه مطيحًا

بخنجره إلى صدر الرجل فى حركة مباغتة تدرب عليها جيدًا .

واستقر الخنجر فى صدر الرجل الذى أطلت نظرة دهشة من عينيه الجاحظتين ، وقد فوجئ بتصرف (ممدوح) المفاجئ .

وحاول أن يضغط الزناد .. ولكن أصابعه لم تطاوعه .. إذ سرعان ما هوى إلى الأرض صريعًا .

واندفع (ممدوح) يركض فى اتجاه الحديقة المحيطة بالمنزل .. بأقصى ما لديه من سرعة .

لكن فوجئ بشخصين يعترضان طريقه مرة أخرى ، وقد شهرا سلاحيهما نحوه .

وهذه المرة لم يطلب الرجلان منه الاستسلام .. بل أطلقا وابلاً من الرصاص . فى اتجاهه .

وحاول ممدوح أن يتفادى الطلقات وهو يركض فى اتجاهات متعرجة . لكن كان من المستحيل تجنب إصابته أكثر من هذا لو استمر فى الركض على هذا النحو .

وفجأة ، أطلق (ممدوح) صرخة ألم ، وهو يمسك صدره فى قوة ، ثم سقط أرضًا ، إلى جوار الشجيرات المحيطة بالمنزل ..

وفاحت فى المكان رائحة مخيفة .. رائحة الموت .

* * *

١١ ـ المخاطرة ..

اقترب أحد الرجلين من (ممدوح) ليتأكد من موته فى حين وقف الثانى على مسافة قريبة منه يفحص جثة زميلهما .

وأحس (ممدوح) بالخطر يحدق بـه .. فلو أن ذلك الرجل أراد أن يتأكد تمامًا من قتله ، فـأطلق عليه عدة رصاصات أخرى وهو ملقى على الأرض على هذا النحو ، فسوف تكون هذه هـى نهايتـه الفعلية ، ومـع ذلك فإن إحساسه بالخطر لم يمنعـه من ترقب اللحظة المناسبة التى يشعر فيها باقتراب خطوات غريمه .

فقد نجح فـى أثنـاء سقوطه علـى الأرض متظـاهرًا بالموت فى أن يجذب مسدسه من جرابه الملتف حول إبطه باليد التى احتفظ بها فوق صدره .

وكان راقدًا على بطنه .. عندما أحس بالرجل المسلح على بعد خطوتين منه فانقلب سريعا على ظهره وهو يصوب مسدسه بكلتا يديه إلى أعلى فى اتجاهه .

وقبل أن يتأهب الرجل لإطلاق الرصاص عليـه .. كان (ممدوح) قـد صرعه برصاصة محكمة استقرت فـى صدره .. وجعلته يهـوى إلـى الأرض فـى الحال وتنبه الآخر إلى مـا حدث ، فصوب بندقيته فـى اتجاه (ممدوح) .. لكن هذا الأخير بادره برصاصة أخرى من مسدسه اخترقت جبهته وجعلته يلحق بزميله .

وأعاد (ممدوح) مسدسه إلى جرابه .. ثم تناول سلاحى الرجلين حيث حمل إحدى البندقيتين الآليتين على ظهره فى حين احتفظ بالأخرى فى يده .

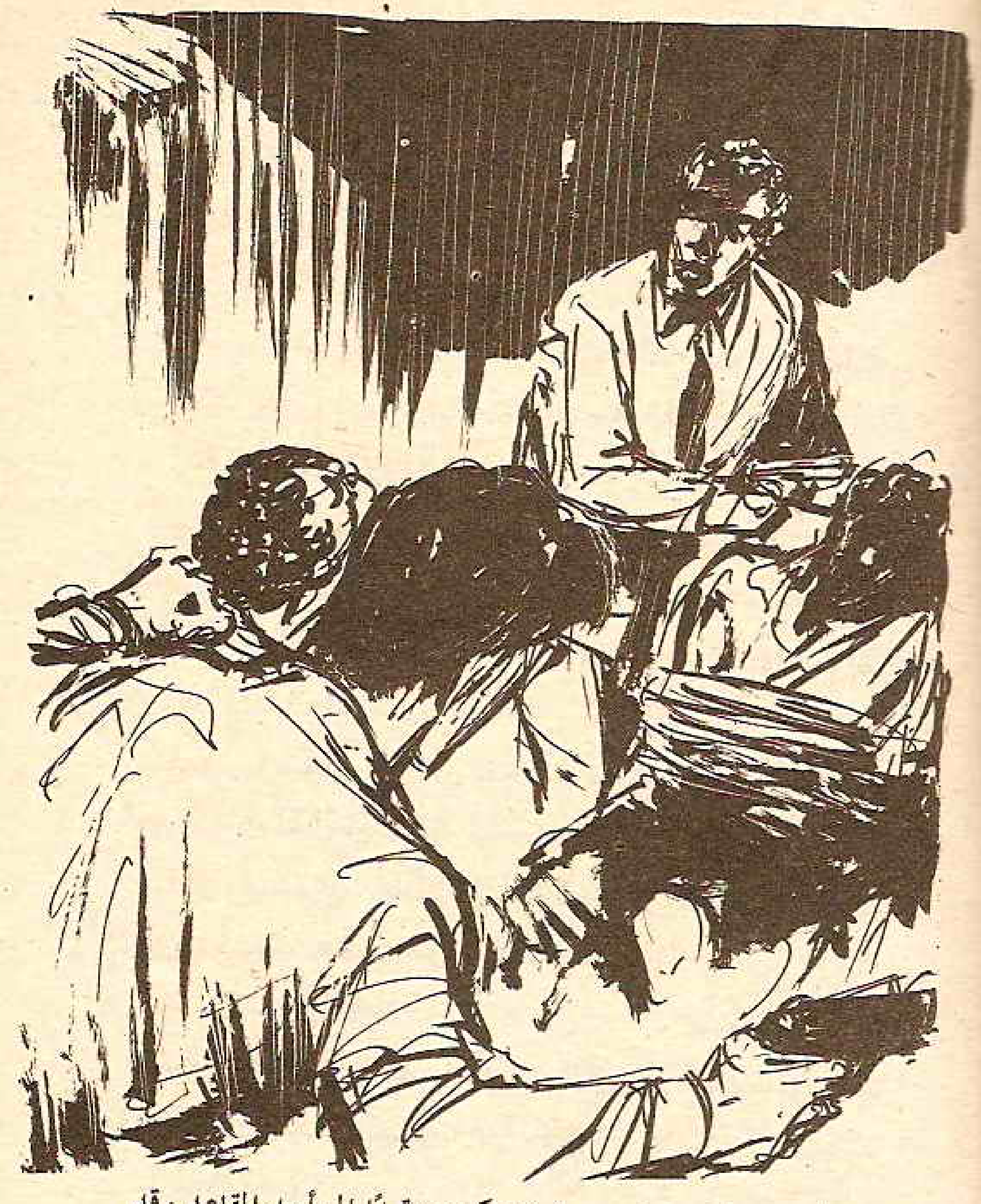
وتسلل إلى المنزل وهو يعد نفسه لمواجهة جديدة .

وبالفعل حدث ما توقعه فقد اعترضه ثلاثة أشخاص آخرين مدججين بالسلاح . وهو يجتاز أحد ممرات المنزل .

واتخذ من أحد التماثيل الإفريقية الضخمة ساترًا له ليتبادل معهم إطلاق الرصاص .

واستطاع أن يقضى على اثنين منهم فـى حين فرغ مسدس الثالث من الرصاص .. فألقى بمسدسه على الأرض وهو يجثو على ركبتيه أمام ممدوح قائلا بتوسل :

ـ أرجوك .. أرجوك لا تقتلنى .. لا تطلق علىَّ الرصاص .



وفوجئ (ممدوح) بوجود (بوكو) مقيدًا إلى أحد المقاعد وقد وقف إلى جواره شخص طويل القامة ..

قال له (ممدوح) وهو يصوب إليه بندقيته :

– أين أجد صاحب هذا المنزل ؟

قال له الرجل وهو يشير إلى إحدى الغرف :

– فى هذه الحجرة .

أمسك (ممدوح) بياقة سترته وهو يدفعه أمامه قائلاً :

– تقدمنى .

ثم دفع الباب بقدمه فى قوة وهو يدفعه أمامه إلى داخل الحجرة .

وفوجئ (ممدوح) بوجود (بوكو) مقيدًا إلى أحد المقاعد وقد وقف إلى جواره شخص طويل القامة وفى يده مسدس صوبه إلى (بوكو) قائلاً (لممدوح) :

– لو تقدمت خطوة واحدة فسأنسف رأسه .

وقف (ممدوح) عاجزًا وهو لا يدرى كيف يتصرف ، فى حين أردف الرجل وهو يشير إلىالرجل الذى دفعه (ممدوح) إلى الداخل :

– جرده من أسلحته .

واستدار الرجل إلى (ممدوح) وعلى وجهه ابتسامة تشفٍ قائلاً له :

– ارفع يديك عاليًا .. هيا أيها الوغد .

رفع (ممدوح) يديه إلى أعلى وعيناه ترقبان الرجل الآخر و(بوكو) ، فى حين قام الرجل الواقف أمامه بتجريده من أسلحته .. فأخذ منه البندقية الآلية التى يحملها فى يديه .. ثم نزع الأخرى المعلقة حول كتفه .. كما نزع عنه الحقيبة المعلقة حول ظهره .

وأخيرا أخذ منه مسدسه ، ليضعه فى جرابه الخالى والملتف حول إبطه بدلا من مسدسه الفارغ .

وقال الرجل الذى يصوب سلاحه إلى (بوكو) :

ـ أخطأ صديقك عندما حاول أن يتتبعك الى هنا ، ليعمل على تأمينك ، فقد اكتشفنا أمره مبكرًا وأوقعنا به قبلك .. وها هو ذا كما تراه قد أصبح بين أيدينا ، وأظن أن هذا يعطيك فكرة واضحة عن إمكاناتنا .

حاول (ممدوح) أن يبدو ثابتا فى مواجهة هذا الموقف .. فقال له ساخرًا :

ـ ومع ذلك .. فقد فشلت أنت ورجالك فى نصب كمين محكم ، يمكنكم من القضاء علىّ .

ابتسم الرجل قائلا :

ـ من قال هذا ؟ لقد أصبحت الآن فى قبضتنا وسوف نقضى عليك خلال لحظات من الآن .

(ممدوح) :

ـ لقد تراهن معى زعيمك (جوناثان) على ذلك من قبل .. وخسر الرهان .

ضحك الرجل قائلا :

ـ زعيمى .. ومن قال أن (جوناثان) زعيمى ؟ إنك مخطئ فى تصورك هذا يا عزيزى .. فأنا لا أتبع منظمة (الغوريلا) كما تعتقد ، وإن كنت أتعاون معها ، لأن مصالحنا مشتركة .

بدا (ممدوح) غير متفهم لما قاله الرجل الذى أردف قائلا :

ـ يبدو أن الأمور غير واضحة تماما بالنسبة لك .. حسن سأترك صديقك (بوكو) يخبرك بنفسه بالحقيقة التى توصل إليها .

صاح (بوكو) قائلا (لممدوح) :

هؤلاء الرجال يعملون لحساب مخابرات الدولة التى سيلاعبها فريقكم وقد علمت أنهم يتعاونون مع منظمة (الغوريلا) للحيلولة دون عودة لاعبى منتخبكم القومى خوفا من أن تهزموهم وتمنعوهم من الوصول إلى التصفيات الأخيرة فى كأس العالم ، التى ينتظر شعبهم وصول لاعبيهم إلى نهائياتها بفارغ الصبر .

وإنه حتى فى حال دفع الفدية التى يطالبكم بها

(جوناثان) فإنكم لن تستعيدوا لاعبيكم بأى حال من الأحوال .. لأنهم اتفقوا مع منظمة (الغوريلا) على التخلص منهم .

هتف (ممدوح) بدهشة :

ـ هذا غير معقول .. إنها رياضة .. هل يمكن أن تصل الأمور بجهاز مخصص لأمن الدولة لكى يتدخل فى مشاركة منظمة إجرامية من أجل الحيلولة دون إقامة مباراة رياضية يخشون من الهزيمة فيها ؟!

أيمكن أن يصل التفكير بنظام سياسى وجهازه الأمنى إلى مثل هذا المستوى ؟!

قال الرجل الذى تبين أنه عميل مخابرات الدولة الإفريقية :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة التى تجعلك تبدى دهشتك على هذا النحو .. فالكرة فى بلادنا هى اللعبة الشعبية الأولى ، والمواطن لدينا فى (جومو) يعتبر كرة القدم جزءا من حياته اليومية تماما كطعامه وشرابه .

لذا فعندما تتكرر هزيمتنا عدة مرات أمام منتخبكم المصرى .. ونحرم من الاشتراك فى كأس العالم منذ إقامته وحتى الآن ، بسبب لقاءاتنا المتكررة معكم ، وعندما تعرف خصائص النظام القبلى الموجود فى

(جومو) ومدى الغضب والغليان الشعبى الذى يمكن أن يحسه المواطنون هناك ، خاصة مع وجود اضطرابات سياسية وخلخلة فى نظام الحكم .. على نحو لا يمكن امتصاصه إلا بتحقيق انتصار رياضى كبير ، أو حلم شعبى طالما راود (الجومويين) .. وهو أن يصل فريقنا لأول مرة فى تاريخه إلى كأس العالم ، وأن نتخلص من عقدة المصريين .. فإنك ستغفر لنا تدخلنا على هذا النحو .. ومساعدتنا لمنظمة (الغوريلا) فى العملية التى قاموا بها .

لذا فعندما علمنا بأمر حضورك إلى (نيروبى) لمحاولة إنقاذ لاعبى منتخبكم ، كان علينا أن نعمل على الحيلولة دون ذلك .. حتى نتيح (لجوناثان) وأعوانه تنفيذ الاتفاق الذى اتفقنا عليه .. وهو مساعدة تطوعية قمنا بها دون أن يطالبنا بها (جوناثان) ، وأعتقد أننا كنا أنجح منه ومن رجال منظمته فى القيام بها .

(ممدوح) :

ـ مازلت لا أتصور أن تتعاون مخابرات دولة مع منظمة إجرامية دولية لاختطاف مجموعة من اللاعبين ومدربهم ، والحيلولة دون إقامة مباراة فى كرة القدم ، ثم حتى لو حدث أن وصل فريقكم إلى كأس العالم بهذه

الوسيلة الإجرامية الدنيئة ، فإن هذا لن يكون بسبب تفوق لاعبيكم ، ولن يخلصكم من عقدة الهزيمة أمام الفرق الكروية المصرية ، وهى فكرة تعصبية عنصرية بغيضة وبعيدة تماما عن الروح الرياضة ..

وكان عليكم بدلا من ذلك أن تغيروا من مثل هذه الأفكار التى تسلطت على جماهير الكرة فى (جومو) ، بدلا من اللجوء إلى تلك الوسائل الإرهابية مع مجموعة من اللاعبين الرياضيين المسالمين ، جاءوا ليلاعبوكم مباراة وفقا لنصوص ولوائح الاتحاد الدولى .

رد الرجل قائلا :

ـ إننا لم نتعاون مع منظمة (الغوريلا) منذ البداية فى القيام بعملية الاختطاف .

لكنهم نفذوها لحسابهم بهدف الحصول على فدية منكم بالفعل .

ولم يكن يخطر فى بالنا مطلقا فكرة التعاون مع (جوناثان) وعصابته للقيام بمثل هذا العمل .

لكن عندما تم بالفعل وسمعنا عنه من الصحف ، خطرت لنا فكرة الاتصال به ومساندته مادام ذلك سيكون فى صالحنا .

لقد أردنا لهذه العملية أن تنجح ، وأن نحول دون فشلها

بسبب تدخل أجهزة الأمن المصرية ، أو أية عمليات مشابهة لإنقاذ اللاعبين .

أما ما قاله لك صديقك (بوكو) من أننا طلبنا من (جوناثان) أن يتخلص من اللاعبين المصريين ، حتى فى حالة دفع الفدية المتفق عليها .. فقد كان تحليله خاطئا تماما فى هذا الشأن .. وذلك بنفس القدر الذى تصورت به أننا نعمل على الحيلولة دون إقامة المباراة المحددة بين (مصر) و (جومو) .

على العكس لقد عرضنا على (جومو) أن ندفع لها مبلغا يوازى قيمة الفدية التى تدفعونها فى مقابل الحفاظ على حياة اللاعبين وإعادتهم إلى (مصر) .. ثم إقامة المباراة فى موعد قريب يتفق عليه .

(ممدوح) :

ـ أى لغز هذا ؟

قال الرجل :

ـ ليس فى الأمر أى لغز .. لو عرفت أننا نريد أن نلعب هذه المباراة وأننا سنكون واثقين هذه المرة من الفوز بها .

أطرق (ممدوح) قليلا ثم هتف قائلاً :

ـ فهمت .. إن اللاعبين سيلاعبونكم هذه المباراة وهم

فى حالة غير عادية ، حالة تضمن لكم الفوز وبشهادة العالم كله .

ابتسم الرجل قائلا :

ـ يعجبنى ذكاؤك .. إن الاتفاق الذى تفاوضنا بشأنه مع (جوناثان) ، يدور حول إعادة هؤلاء اللاعبين بعد حقنهم بمادة مخدرة يصعب اكتشافها فى التحليلات العادية ، ولها تأثير قوى على الجهاز العصبى ، يظهر أثره بعد فترة زمنية معينة .. وهى الفترة التى سنوافق عليها لإقامة المباراة .

وفى اليوم المحدد ستكون الحالة البدنية والذهنية للاعبيكم قد انخفضت إلى النصف ، فى الوقت الذى يكون لاعبونا فيه فى كامل لياقتهم البدنية والفنية .

أكمل ممدوح قائلا :

ـ وبذلك تنجحون فى امتصاص الغضب الشعبى فى (جومو) ، وتحويل جزء كبير من اهتمام الشعب بالأمور السياسية المتدنية فى (جومو) إلى متابعة استعداد فريقهم لخوض مباريات كأس العالم ، حتى يتم إحكام قبضة النظام هناك على البلاد والتخلص أيضًا من عقدة الهزيمة من المصريين كما تقول .. ليصبح نصرًا معتمدًا من المجتمع الدولى بأسره ، وليس بسبب اضطرار مصر إلى الانسحاب لاختفاء لاعبيها أو القضاء عليهم .

قال الرجل :

ـ هذا بالضبط مانهدف إليه .

(ممدوح) :

ـ ياله من تفكير شرير .. وياله من نصر رخيص ، ذلك الذى تسعون إليه .

أطلق الرجل ضحكة قصيرة قائلا :

ـ فى الرياضة كما فى الحرب يا صديقى كل الوسائل مباحة لتحقيق النصر .

رد عليه (ممدوح) :

ـ إنه رأى بعيد عن الصواب تمامًا .. ولا يصدر إلا عن فكر مريض .. فالرياضة خُلقتْ لتقارب الشعوب ، وتوطيد أواصر العلاقات ، وإشاعة السلام فى ظل منافسة شريفة ونظيفة .

وحتى الحروب لها قوانين ومبادئ تحكمها ، ومن المفترض ألا يتم خلالها اختطاف مدنيين مسالمين على هذا النحو ، وحقنهم بمواد تتسبب فى إتلاف جهازهم العصبى .

قال الرجل :

ـ مع الأسف .. هذا الوعظ لن يحول دون هذا الأمر شىء .. والآن وقد حصلت على القدر الكافى من المعرفة ،

سندعك تحمل هذه المعلومات أنت وصديقك إلى العالم الآخر .

وصوب مسدسه فى اتجاه (ممدوح) ، الذى قال بهدوء :

ـ أعتقد أنه يتعين عليك أن تفكر جيدًا قبل أن تطلق رصاصتك .. فزميلك لم يحسن تفتيشى بطريقة وافية .

ففى مكان ما من جسدى توجد قنبلتين صغيرتين فى الحجم .. ولكن لهما قوة تدميرية رهيبة تكفى لتدمير هذا المكان بمن فيه .

ولو اصطدمت رصاصتك بإحدى هاتين القنبلتين فسوف تجد هذا المكان وقد دك فوق رءوس الجميع ، وسترحل معى أنت وزميلك إلى العالم الآخر .

قال الرجل وقد بدا عليه بعض القلق :

ـ هراء .. إنك تسعى فقط لكسب بعض الوقت .

وبدا الاضطراب على زميله لدى سماعه لكلمات (ممدوح) .. فالتفت إليه قائلا :

ـ ولكن قد يكون ما يقوله صحيحًا .. وبذلك نعرض أنفسنا للخطر .

قال الرجل وهو مستمر فى تصويب مسدسه نحو (ممدوح) :

ـ لا بأس .. إذن سأصوب على رأسه .

قال (ممدوح) بنفس النبرة الهادئة :

ـ وما أدراك أننى لا أحتفظ بإحدى هاتين القنبلتين فى شعرى مثلا أو خلف أذنى ؟

سارع زميله بالقول :

ـ إننى أرى أن أعيد تفتيشه تفتيشًا دقيقًا لنتأكد من صدق ما قاله .

وبدا الرجل مترددًا قليلا .. ثم مالبث أن قال :

ـ حسن .. فتشه جيدًا .

وبقى محتفظًا بفوهة مسدسه فى اتجاه (ممدوح) وإصبعه على الزناد ، فى حين كان على (ممدوح) أن يعود إلى المخاطرة بعد أن نجحت حيلته ، ليعمل على النجاة من هذا المصير المخيف .

* * *



١٢ ـ وكر (الغوريلا) ..

كان (ممدوح) ما زال محتفظًا بيديه فوق رأسه فى أثناء تفتيش الرجل له .

وانتظر حتى مال عليه قليلا وهو يتفحص الحزام الملتف حول وسطه .. ثم أنزل يده سريعًا لتمتد داخل الجراب الملتف حول إبط الرجل .

وبدون أن ينزع المسدس من الجراب كانت أصبعه على الزناد ، وقد عدل من وضع الجراب ليجعل مؤخرته فى موجهة الشخص الآخر .. فى حين امتدت يده الأخرى لتقبض على الرجل الذى يفتشه وهو يجذبه بقوة ليتخذ منه ساترًا لحمايته فى مواجهة الآخر ، وقد خفض رأسه إلى مستوى رأس غريمه .

وانطلقت رصاصتان .. إحداهما من مسدس (ممدوح) أصابت ذراع الرجل المسلح وأجبرته على التخلى عن مسدسه الذى سقط منه على الأرض ، وهو يصرخ من ألم الرصاصة التى أصابت ذراعه .

والأخرى من مسدس الرجل المصاب ولكنها أصابت زميله فى مقتل فتعلق بذراع (ممدوح) قليلاً قبل أن يهوى إلى الأرض صريعًا .

وقبل أن ينجح الآخر فى استرداد المسدس الذى سقط منه ، كان (ممدوح) قد انتزع مسدسه من جراب الرجل الصريع ، وسارع بتصويبه إلى رأس الآخر قائلاً بلهجة آمرة :

ـ إياك أن تلمسه .. وإلا لقيت مصير زميلك .

تراجع الرجل عن المحاولة فى حين قال (ممدوح) :

ـ لقد نجحت الحيلة فأنا لا أحمل معى أى قنابل ناسفة .

ـ والآن عليك أن تحل وثاق صديقى ، ثم تصحبنى لمغادرة هذا المكان ، وترشدنى إلى المكان الذى يحتفظ فيه (جوناثان) ومنظمته باللاعبين المختطفين .

قال له الرجل متألمًا :

ـ ولكنى لا أعرف أين يحتفظ (جوناثان) بلاعبيكم .

(ممدوح) :

على الأقل .. أنت تعرف مكانه وسترشدنى إليه .

قال له (بوكو) بعد أن تخلص من قيوده :

ـ أهنئك على هذا النجاح يا سيادة المقدم .

قال (ممدوح) وهو يشير إلى الرجل بمسدسه لكى يتقدم أمامه :

ـ ما زال الوقت متأخرًا بالنسبة للتهنئة يا صديقى .. فعلينا أولا أن نغادر هذا المكان اللعين .. وأن نهتدى إلى مكان الشيطان الآخر قبل أن نهنئ أنفسنا .

وأشار إلى إحدى البنادق الآلية الملقاة على الأرض قائلا :

ـ خذ أى سلاح .. فأعتقد أنك ستحتاج إليه .

وتناول (بوكو) إحدى البندقيتين .. وسار فى صحبة (ممدوح) فى حين كان العميل الجوموى يتقدمهما إلى الخارج .

ولكنهما ما كادا يتقدمان بضع خطوات داخل الحديقة المحيطة بالمنزل ، حتى برز لهما من وراء الأشجار أربعة أشخاص مدججين بالمدافع الآلية الى يصوبونها إليهما ، بعد أن أحاطوا بهم من الخلف ، وعلى رأسهم ذلك الرجل الذى التقى (بجوناثان) فى المغارة الجبلية والمدعو (فونو) .

وقال (فونو) (لممدوح) ورفيقه بلهجة آمرة :

ـ ألقيا سلاحيكما على الأرض وأرفعا أيديكما عاليًا وإلا ألهبنا جسديكما بالرصاص .

نظر (بوكو) إلى (ممدوح) الذى أشار له بالامتثال للأمر .

قال (فونو) للرجل المصاب :

ـ يبدو أننا قد وصلنا فى الوقت المناسب يا عزيزى (لومبا) :

رد عليه الرجل متألما وهو يمسك بذراعه المصابة :

ـ لقد اخترقت رصاصة هذا اللعين ذراعى .. أريد منك أن تعمل على إخراجها سريعًا .. قبل أن يستفحل الأمر .

قال (فونو) .

ـ اطمئن لن نضطر إلى بتر ذراعك .

ثم هتف فى (ممدوح) ورفيقه قائلا :

ـ واصلا السير عدة خطوات إلى الأمام .

وتباطأ (ممدوح) و (بوكو) فى السير ، ولكن (فونو) عاد ليصيح فيهما قائلا :

ـ أسرع من ذلك .

تقدم (ممدوح) و(بوكو) عدة خطوات سريعة إلى الأمام .. ولكن ما لبث أن أختل توازنهما على أثر الشباك التى كانت ممتدة تحت قدميها ، وقد اختفت وسط الأرض العشبية ، والتى التفت حولهما فى حركه مفاجئة



واتجه إلى (ممدوح) وفى عينيه نظرة حاقدة قائلاً له بحنق :

ــ أرأيت أيها الوغد .. كيف أننا نحسن نصب الفخاخ ؟

ليجد كل منهما نفسه وقد أصبح معلقًا داخل إحدى هذه الشباك التى ارتفعت من على الأرض لتتدلى من الأشجار الموجودة فى الحديقة .

ووجد (ممدوح) نفسه وقد تكور جسده داخل هذه الشبكة المدلاة كحيوان سقط فى فخ محكم .. وكذلك كان الحال بالنسبة (لبوكو) الذى تكور داخل شبكة أخرى على مسافة قريبة منه .

وبرغم آلام ذراعه ، إلا أن الرجل المصاب تناول البندقية الآلية التى أسقطها (بوكو) أرضًا .. واتجه إلى (ممدوح) وفى عينيه نظرة حاقدة قائلا له بحنق :

ــ أرأيت أيها الوغد .. كيف أننا نحسن نصب الفخاخ.. هذه المرة أؤكد لك أنك لن تنجو .

ثم ضربه فى وجهه بمؤخرة البندقية ضربة قوية تعبر عن مدى غله وحقده وهو يردف قائلاً :

ــ سأعود إليك بعد أن أنتهى من علاج ذراعى ..وهذه المرة لن أجعل ميتتك سهلة بأى حال من الأحوال .

ثم التفت إلى الآخرين قائلاً :

ــ سأتولى بنفسى أمر هذين الرجلين .. فلا أريد من أحدكم أن يقدم على أى تصرف قبل أن أعود إليهما وأقضى عليهما بنفسى وبوسائلى الخاصة .

مرت ساعة كاملة على (ممدوح) وهو مكور على هذا النحو داخل الشبكة المدلاة ، وقد أحسّ بآلام شديدة فى ظهره وعنقه ، من جراء هذا الوضع غير الطبيعى .

ولكنه بقى محتفظا بعينيه مفتوحتين جيدا وهو يراقب ذلك الرجل المسلح الذى بقى فى الحديقة لحراستهما ، فى حين عاد الآخرون إلى المنزل .

ويبدو أن الرجل نفسه بدأ يشعر بالملل والفتور ، لاضطراره إلى الوقوف هكذا لمدة ساعة لحراستهما .. كما أنه رأى أنه لا يوجد ما يدعو لبقائه وقد أصبح الصيدان داخل الشباك ، ولا يمتلكان الوسيلة لمغادرتها .

لذا قرر أن يستريح قليلا على أحد المقاعد الرخامية المحاطة بالنباتات المتسلقة داخل الحديقة على بعد ستة أمتار منها .

وجلس الرجل فوق المقعد الرخامى وقد أولى ظهره إليهما ليشعل لنفسه سيجارة . وقد وضع مدفعه الآلى إلى جواره .. فى حين ظلت عينا (ممدوح) تراقبانه وما أن تأكد من استرخاء الرجل ، وأنه لا ينظر فى اتجاههما .. حتى سارع بانتزاع كعب حذائه من مكانه وقام بتحريك ذراع معدنية صغيرة بداخله فبرزت من إحدى حواف الكعب ما يشبه أسنان المنشار .

ثم أدار زرا صغيراً بجوار الذراع المعدنية المختفية داخل كعب الحذاء فعمل على دفع شحنة كهربائية متوسطة إلى أسنان المنشار الرفيعة .. فأخذت تدور بسرعة فائقة محدثة أزيزًا خافتا .

وسرعان ما تحول كعب الحذاء فى يد (ممدوح) إلى منشار كهربائى ، استخدمه فى قطع خيوط الشباك .. وقد أخذ (بوكو) يتطلع إليه فى دهشة .

واستمر (ممدوح) فى تمزيق الشباك الملتف حوله ، وعيناه تراقبان الرجل فى جلسته المسترخية .

وما لبث أن نجح فى تمزيق قدر كبير منها سمح له بالوثوب إلى الأرض ، وجاءت وثبته لتنبه الرجل القائم على حراستهما .

فسارع بمغادرة مقعده الرخامى ، وقد قبض على مدفعه عائدًا إليهما وهو يقول :

ـ ماالذى يحدث هنا :

كان (ممدوح) قد سارع بالاختفاء وراء إحدى الأشجار ، فى اللحظة التى فارق فيها الرجل مقعده .

وما إن رأى الرجل الشبكة الممزقة وقد غادرها (ممدوح) حتى هتف وقد تولاه الفزع :

ـ اللعنة .. أين اختفى ذلك الوغد ؟

ثم اتجه نحو الشبكة الأخرى ليدفع بماسورة مدفعه فى رأس (بوكو) الحبيس بداخلها بقسوة قائلاً :

ـ لابد أنك قد رأيت كل شىء .. أين ذهب زميلك ؟ أجبنى أيها الوغد .. أين هرب ؟

وجد يدًا تربت على كتفه وصوتًا يقول له :

ـ إننى خلفك تمامًا .

وفى اللحظة التى استدار فيها الرجل .. كان (ممدوح) قد انهال عليه بلكمة قوية أطاحت به أرضًا .

وسارع بالتقاط مدفعه الآلى الذى سقط بجواره ليسدد له ضربة أخرى فى رأسه بمؤخرة المدفع ، جعلته يغيب عن الوعى .

وعمل على تحرير (بوكو) من شباكه .. ثم ساعده على الوثوب إلى الأرض قائلاً :

ـ والآن ساعدنى على تقييد هذا الرجل .. ودعنا نستكشف أمر الآخرين .

وتسلق (ممدوح) و (بوكو) إحدى شرفات المنزل حيث نجحا فى التسلل إلى الداخل .

واجتازا إحدى الحجرات ، وهما يسيران فى ممر طويل ، وقد احتفظ (ممدوح) بالمدفع الآلى فى حوزته ، ترقبًا لأى مواجهة جديدة .

وما لبث أن لمح إحدى الحجرات المفتوحة .. وقد وجد (فونو) بداخلها وهو يقوم بلف بعض الأربطة حول ذراع رئيسه المصاب ، وقد وقف حولهما الشخصان الآخران اللذان شاركاه فى استخراج الرصاصة وتضميد جراحه .

قال (فونو) للرجل المصاب وهو مستمر فى لف الأربطة :

ـ علينا أن نتخلص من هذا الرجل سريعًا .. (فجوناثان) يريد أن يرى جثته .. إن هذا سيكون جزءًا من الاتفاق .

قال له (لومبا) الذى كان متألمًا من أثر استخراج الرصاصة :

ـ أريد أن أتولى هذا الأمر بنفسى .. فأنا لن أغفر له تلك الإصابة التى ألحقها بى .

رد عليه (فونو) قائلاً وقد اعتراه الضيق :

ـ لا وقت أمامنا لتصفية حسابات شخصية .. أنت بحاجة إلى الراحة . لفترة من الوقت ولن تستطيع القيام بهذا العمل بنفسك .. دعنى أتولى عنك مهمة قتل هذين الوغدين لإنهاء الأمر .. وإنجاز ما جئنا إلى هنا من أجله .

قال له (لومبا) بتصميم برغم آلامه :

ــ قلت لك سأتولى هذا الأمر بنفسى .. ولن يحول أحد بينى وبين ذلك .

أطلق (فونو) زفرة تعبر عن ضيقه قائلاً وهو يولى ظهره للرجل الممدد على الفراش :

ــ يبدو أنه قد قدر لى أن أتعامل مع شخصين غبيين فأنت و (جوناثان) تصران على أمور تافهة .. وتجعلان من حقدكما على هذا الرجل سببًا فى تعطيل المهمة التى يتعين علينا تنفيذها .. وهذا تفكير غبى .

إن (جوناثان) ينتظر أن نحضر له جثة ذلك المصرى فى مغارته الجبلية قبل أن يبزغ فجر هذه الليلة ، وإلا ألغى اتفاقه معنا .

قال له (لومبا) :

ــ اذهب إليه وأخبره أن ينتظر إلى الغد ، وسوف نحقق له رغبته ، وقل له إننى لا أقل عنه رغبة فى تحويل هذا الرجل إلى جثة هامدة وأن عليه أن يسمح لنا منذ الآن بحقن اللاعبين المصريين بعد تخديرهم .

قال له (فونو) :

ــ هل تعنى أنه سيتم تخديرهم أولاً قبل حقنهم بتلك المادة التى تؤثر على جهازهم العصبى ؟

رد عليه (لومبا) قائلاً بلهجة تهكمية برغم إصابته .

وتتهمنى أنا بالغباء .. بالطبع سنفعل ذلك .. إننا لا نريد أن يعرفوا أى شىء عما فعلناه بهم .. وحتى آثار الحقن سنعمل على إخفائها حتى لا يتنبهوا للأمر ، وتتم المباراة فى شكلها الطبيعى .

(فونو) :

ــ حسن .. ولكنى أحذرك من أن (جوناثان) قد يلغى اتفاقه معنا .

(لومبا) :

ــ إذا فعل ذلك .. فسنفسد له كل شىء .. ولن ينال قرشًا واحدًا من أى من الجهتين .. فنحن يمكن أن نرسل بكتيبة من القوات الخاصة لتخترق الاحراش التى يحتمى بها ، وتقضى عليه وعلى أتباعه .. ثم نختطف أولئك اللاعبين إلى (جومو) لنتولى أمرهم بأنفسنا .

غير أننا نفضل أن نبقى بمنأى عن الشبهات .. حتى نحقق الهدف الذى نسعى إليه .. أن نتخذ من تلك المنظمة المسماة (بالغوريلا) ستارًا لنا لتنفيذ عمليتنا .

ولكن إذا لم يتفاهم معنا .. وأراد أن يتحدانا ، فسوف نضرب بكل تلك الاحتياطات عرض الحائط .

والآن .. فلتذهب سريعًا وتنفذ ما أمرتك به ، لأننى

أشعر بإعياء بالغ ، ويبدو أننى أوشك على فقدان الوعى .. فقد نزفت كثيرًا .

وانصرف (فونو) من الحجرة فى طريقه إلى المغارة التى يختبئ بها (جوناثان) وأتباعه قائلا للشخصين الآخرين : اعتنيا به .

هذه فرصة ذهبية .. إن هذا الرجل سيكون وسيلتنا فى الوصول إلى (جوناثان) ، والمكان الذى يخفى فيه اللاعبين المصريين .

(بوكو) :

ـ هل ستتبعه ؟

(ممدوح) :

ـ بل سنأسره ونجبره على أن يقودنا إلى وكر (الغوريلا) .

وما إن عبر (فونو) الحديقة حتى استلفت نظره تلك الشباك الممزقة واختفاء الحارس المسلح .

فهتف قائلا :

ـ يا للشيطان .. لقد نجحا فى الهرب .

وفى تلك اللحظة برز له (ممدوح) من وراء الأشجار ، وقد صوب إليه فوهة المدفع الذى يحمله قائلاً :

ـ نعم يا عزيزى ، وسوف أصحبك معى إلى قفص (الغوريلا) .

تسمر (فونو) فى مكانه وهو ما زال تحت تأثير المفاجأة .

لكن (ممدوح) قال له :

ـ هيا دعنا لا نضيع الوقت .. فصديقى ينتظرنا فى نفس السيارة التى أتت بك على مقربة من هنا .. هيا .

* * *



١٣ ـ ضيف الشرف ..

وقف (ممدوح) وراء إحدى الأشجار يرقب المغارة الجبلية وإلى جواره (بوكو) و (فونو) كانت هناك حراسة قوية حول المغارة ، من رجال القبائل ومن أعوان (جوناثان) المسلحين .

وهمس (ممدوح) لـ (بوكو) :

ـ اقتحام مثل هذا المكان سيكون أمرًا شديد الخطورة فى ظل هذه الحراسة المشددة .

(بوكو) :

ـ إننا سنحتاج إلى مساعدة .

(ممدوح) :

ـ ما أحتاج إليه بالفعل هو بعض المعدات اللازمة لاقتحام مثل هذا المكان ، وأنا أريد منك أن تأتينى بهذه المعدات فى أسرع وقت ممكن .

(بوكو) :

وأنت ؟

(ممدوح) :

ـ سأنتظرك هنا .

(بوكو) :

ـ بمفردك .

(ممدوح) :

لا تخش شيئا إننى سأتسلى بمراقبة المكان فى انتظار عودتك .. وفى نفس الوقت سأفكر فى الخطة التى يتعين علىّ تنفيذها .. فأنا لا أريد ارتكاب أى خطأ يمكن أن يعرض حياة الرياضيين للخطر .

تردد (بوكو) قليلا قبل أن يقول :

ـ ولكن ...

ولكن (ممدوح) قاطعه قائلا :

ـ نفذ ما طلبته .. اذهب إلى أقرب جهة تابعة لك ، واحصل لى على تلك الأشياء التى سأطلبها منك .. ثم ائت لى بها فى أسرع وقت وبأسرع وسيلة .

وهناك شىء آخر أريد أن تفعله .

سأله (بوكو) :

ـ وما هو ؟

(ممدوح) :

ـ أريد أن تتحفظ لى على (فونو) فى مكان أمين .. فهذا الشخص ستكون له أهميته الكبرى فى القضية

التى سنثيرها فيما بعد ، بشأن علاقة جهاز المخابرات فى (جومو) ، بمنظمة (الغوريلا) .. والخطة الإجرامية التى كانوا يريدون تنفيذها مع اللاعبين المصريين .

(بوكو) :

ـ يمكنك أن تعتمد علىّ فى ذلك :

دفع (بوكو) (بفونو) أمامه وقد ألصق مسدسه فى ظهره قائلا :

ـ فى هذه المرة ستقوم بدور السائق .

وتسلق (ممدوح) إحدى الأشجار حيث جلس فوق فروعها متخذا من أوراقها الكثيفة ساترًا له .. وقد أخذ يرقب المغارة الجبلية والمكان المحيط بها بوساطة منظاره المكبر .

ومرت عليه ساعتان وهو جالس فى مكانه ، دون أن يلمح أى جديد يمكن أن يثير اهتمامه ، عدا مجموعة الأشخاص من رجال القبائل وأعوان (جوناثان) المسلحين ، وقد اتخذ كل منهم موقعه حول المغارة .

وبدا النعاس يداعب جفنيه .. فهو لم ينم تقريبًا منذ يومين .

وفجأة استرد يقظته وانتفض من ثباته على إثر سماعه لذلك الضجيج المنبعث من داخل المغارة الجبلية .

كان الليل قد بدأ يرخى سدوله .. عندما تعالت أصوات الطبول ، وأهازيج وصرخات رجال القبائل المنبعثة من الداخل .

ثم ازداد الصخب حدة .

ورأى (ممدوح) رجال القبائل وهم يغادرون المغارة الجبلية وقد أخذوا يرقصون ويتمايلون فى حركات هستيرية .. منتشرين فى المنطقة العشبية المحيطة بالمكان .

وفى تلك اللحظة كان (جوناثان) جالسًا فوق عرشه الحجرى داخل المغارة ، يراقب تلك الحفلة الصاخبة .. ويتابع رجال القبائل وهم يغادرون المغارة وسط الأهازيج ودقات الطبول فى رقصهم الهستيرى .

بينما كان أحد أتباعه يرقب ما يدور أمامه فى حنق وضيق .

وهمس الرجل (لجوناثان) :

ـ لابد من ممارسة هذه الطقوس اللعينة بمصاحبة أولئك البدائيين ؟

أجابه (جوناثان) :

ـ لا تنس أن أولئك البدائيين يقدمون لنا المساعدة اللازمة فى التنقل بين تلك الأدغال الشاسعة .. واجتياز مجاهلها فى حالة التعرض للخطر .

إننا نعتمد فى ذلك على معتقداتهم البدائية .

قال له الرجل :

ـ ولكننا نضيع الوقت فى هذا المكان .

(جوناثان) :

ـ إن هذا المكان هو أفضل تغطية لنا ولإخفاء اللاعبين المصريين .

سأله مساعده :

ـ هل أنت واثق أنهم سيدفعون مبلغ الفدية ؟

(جوناثان) :

ـ نعم .. إننى واثق من ذلك .

عاد مساعده ليسأله :

ـ والآخرون .

(جوناثان) :

ـ تقصد (الجومويون) .. سيدفعون أيضا وسنستفيد من الطرفين .. ونحصل على مبلغ طيب .

والآن أحضر اللاعبين المصريين ومدربهم .. أريد أن يكونوا جاهزين للحقن بذلك السائل الذى أحضره لنا (الجومويون) .

سأله مساعده :

ـ هل سنعمل على تخديرهم الآن ؟

(جوناثان) :

ـ كلا .. لن نقدم على ذلك قبل حضور (الجومويون) ومشاهدتهم للأمر بأنفسهم ، بعد إحضارهم لجثة ذلك المصرى .. ولكنى أريد أن يكونوا جاهزين لحين حضورهم .

وتحدث الرجل مع بعض أعوانه فدلفوا إلى أحد دهاليز المغارة ، حيث قاموا بإحضار أعضاء الفريق القومى المصرى ، وقد بدا عليهم ما يعانونه من إرهاق واضطراب ، خلال تلك الفترة العصيبة التى مرت بهم ، وغادروا المغارة يتبعهم رجال المنظمة شاهرين أسلحتهم ، حيث سلموهم لرجال القبائل الذين أجلسوهم فوق الأرض العشبية .. ثم أحاطوا بهم وهم مستمرون فى رقصهم الهستيرى، وقد شكلوا حولهم ما يشبه الدائرة ، فى حين عمد بعضهم إلى التلويح بالحراب والأسهم فى وجوههم ، وهم يصرخون صرخات مخيفة ومزعجة زادت من اضطراب اللاعبين .

راقب (ممدوح) كل ذلك بمنظاره المكبر محاولا السيطرة على أعصابه .

فقد كان عليه ألا يدع العنان لعواطفه وانفعالاته ، بعد أن أصبح قريبا من هدفه .

وما لبث أن انتبه على صوت حفيف الأشجار حوله ، فقبض على مدفعه الآلى متحفزا .

ولكنه اطمأن عندما جاءه صوت (بوكو) قائلا :

ــ لا تقلق يا صديقى إنه أنا .. لقد أحضرت لك ما طلبته .. كما أحضرت معى أيضًا عشرة من الرجال المدربين والجاهزين لتنفيذ أوامرك .

حقًا أن عددهم ليس كافيًا إزاء كل هذا الجمع من الأشرار .. ولكن تأكد أن كل واحد منهم يساوى عشرة أشخاص ، وأنهم يجيدون استخدام السلاح .

أما عن عميل المخابرات (الجوموية) فيمكنك أن تطمئن إلى أننى قد تحفظت عليه فى مكان أمين .

(ممدوح) :

ــ حسن .. سأقوم أنا وثلاثة من رجالك ببث القنابل الإلكترونية التى أحضرتها فى عدة أماكن متفرقة فوق جدران المغارة وحولها ، معتمدين فى ذلك على الظلام المحيط بالمكان ، وعلى انشغالهم بتلك الاحتفالات الصاخبة .. وسوف أحتفظ معى بالمفجر .. وعليك أنت والباقين حماية ظهورنا .

وتهيأ (ممدوح) والرجال الثلاثة لاجتياز الأشجار والزحف بين الأعشاب فى اتجاه المغارة .. لكنهم ما كادوا

يقطعون نصف الطريق حتى أشار إليهم (ممدوح) بالتوقف قائلا :

ــ انتظروا .

وفى تلك اللحظة كان (جوناثان) قد غادر المغارة فى موكب كبير يحيط به رجال القبائل الذين تلطخت وجوههم بالأصباغ ، وهم يرقصون ويدورون حوله ، ودُهش (ممدوح) لرؤية (جوناثان) ، على هذا النحو ، وقد لطخ وجهه مثل الآخرين بتلك الأصباغ ، وأخذ يدق على صدره بكلتا يديه كما تفعل (الغوريلات) .

وأضيئت المشاعل فى الساحة القريبة من المغارة وقد أخذ (جوناثان) فى مشاركة رجال القبائل الزنجية فى الرقص ، وهو يزيد عليهم بالدق بيديه على صدره .

وتساءل (ممدوح) عما إذا كان الرجل قد جن ؟ أم أنه يخدع أولئك البدائيين ؟ ولكنه واصل زحفه على أية حال يتبعه الرجال الثلاثة ، حيث قام ببث القنابل الإلكترونية فى مناطق متفرقة .. واقترب من جدار المغارة وهو مستمر فى الزحف على بطنه .. ليثبت إحدى القنابل فوق جدرانها الصخرية .

وفى تلك اللحظة هتف أحد مرافقيه قائلا :

ــ احترس .

انقلب (ممدوح) على ظهره سريعاً ليفاجأ بأحد أعوان (جوناثان) وهو يسدد سلاحه إليه .

وعلى الفور أطلق (ممدوح) رصاص مدفعه الآلى فأصابه قبل أن ينجح فى إصابته وبرغم الضجيج والصخب الذى كان يملأ المكان إلا أن صوت طلقات الرصاص استلفت انتباه مجموعة الأشخاص القريبين من المغارة

واندفع الزنوج بحرابهم وسهامهم فى اتجاه (ممدوح) .. ولكن زملاءه الثلاثة برزوا لهم من بين الأعشاب العالية وقد أخذوا يطلقون رصاص أسلحتهم فى الحال .

وانتبه (جوناثان) والآخرون إلى ما يدور فى المكان ، فأشار (جوناثان) إلى رجال القبائل وإلى أعوانه قائلا لهم :

ــ اقضوا عليهم .

اندفع عشرات من رجال القبائل نحوهم وقد انتابتهم حالة من الوحشية ، وقد أخذوا يصوبون أسلحتهم فى اتجاههم يتبعهم رجال المنظمة وفى تلك اللحظة انضم (بوكو) وبقية زملائه إلى المعركة وهم يطلقون نيران أسلحتهم بدورهم .

ولم يلبث أن انضم إليهم أيضا لاعبو الفريق القومى المصرى الذين سارعوا بمهاجمة من تبقى من أعوان (جوناثان) ومن رجال القبائل حولهم وهم يعملون على شلّ حركتهم وطرحهم أرضا .

تناول (جوناثان) مدفعا صاروخيا ضخما حمله فوق ذراعه ، وهو يصوبه إلى لاعبى الفريق القومى المصرى ، قائلا بغضب :

ــ ستدفعون ثمن ذلك .. سأقضى على هؤلاء اللاعبين .

لكن رصاصة من (ممدوح) استقرت فى كتفه حالت بينه وبين ذلك ..

فصرخ متألما وقد سقط المدفع من يده لينظر فى اتجاه (ممدوح) وفى عينيه نظرة قاسية .

وجثا على ركبتيه وهو يتناول المدفع مرة أخرى ، وقد صوبه هذه المرة تجاه (ممدوح) .

ولكن (ممدوح) ضغط على أحد أزرار المفجر الذى يحمله .. فانفجرت إحدى القنابل التى بثها بين الأعشاب على بعد خطوة واحدة من (جوناثان) لتنسفه فى الحال .

واضطرب رجال القبائل لدى رؤيتهم انفجار القنبلة ، ومشاهدتهم لزعيمهم وقد تحول إلى أشلاء ممزقة

وسارع (ممدوح) بتفجير عدد من القنابل الأخرى التى أحدثت دويًا هائلا ... فأخذوا يهرعون مسرعين ومبتعدين عن المكان الذى عمته حالة من الفوضى .

بينما تمكن (ممدوح) وأعوانه من السيطرة على بقية رجال المنظمة .. وإجبارهم على الاستسلام .

واندفع نحو أعضاء الفريق القومى .. قائلاً :

ــ هل أصيب أحدكم .

قال له المدرب مطمئنًا :

ــ اطمئن كلنا بخير .. بعض الخدوش البسيطة لثلاثة من اللاعبين من أثر صراعهم مع هؤلاء الأشرار .

سأله أحد اللاعبين قائلاً .

ــ هل أنت مصرى .

(ممدوح) :

ــ نعم .. وقد جئت إلى هنا للعمل على إنقاذكم .. يمكنكم أن تطمئنوا فسوف تعودون إلى بلادكم سالمين .

وقبل أن يتأهب (ممدوح) ورفاقه إلى العودة فوجئوا بحوالى عشرة أشخاص من رجال المنظمة يبرزون لهم من خلف جدران المغارة ومن فوقها ، وهم يصوبون إليهم أسلحتهم .

قال أحدهم بلهجة آمرة وبصوت عال :

ــ ألقوا بأسلحتكم .. وارفعوا أيديكم عاليًا .

ونظر (بوكو) إلى (ممدوح) متسائلاً :

ــ هل سنضطر إلى ذلك ؟

قال له (ممدوح) وهو يضغط على أحد أزرار المفجر الذى يحمله :

ــ كلا لن نضطر إلى ذلك .

وفى الحال انفجرت القنابل التى قام ببثها بين جدران المغارة لتنهار صخورها وتتحول إلى ركام ، وقد دفن بين ترابها من تبقى من رجال تلك المنظمة الإجرامية .

وابتسم (ممدوح) قائلا :

ــ أعتقد أننا لن نسمع لفترة طويلة عن منظمة (الغوريلا) وعملياتها الإجرامية ، بعد ما ألحقناه بها من خسائر فترة طويلة للغاية .

* * *

فى (القاهرة) كانت هناك مظاهرة شعبية فى استقبال اللاعبين العائدين وتهنئة من القلب لسلامتهم ، فى حين توارى (ممدوح) فى الظل وهو يستقل إحدى سيارات (إدارة العمليات الخاصة) عائدًا إلى مقر عمله .. وبصحبته عميل مخابرات (جومو) .

وبعد أسبوع كان (ممدوح) جالسًا أمام جهاز

التليفزيون فى منزله ، يتابع نشرة الأخبار وما ورد فيها من أنباء ، كانت تتضمن توقيع عقوبات صارمة على دولة (جومو) ، بعد اكتشاف مخططها الإجرامى من قبل الاتحاد الدولى والإفريقى ، بحرمانها من المشاركة فى أية مباريات رياضية على المستوى الدولى والمحلى ، وفى جميع الألعاب لأجل غير مسمى .. وكذلك توقيع بعض العقوبات السياسية لهذا التصرف الذى يخالف المواثيق الدولية .

كما تضمنت الأنباء وصول فريقنا القومى إلى نهائيات كأس العالم ، بعد استبعاد (جومو) من التصفيات .

والإشادة بمشاركة الأمن المصرى فى القضاء على منظمة (الغوريلا) الإجرامية وزعيمها ، وكشف تفاصيل المؤامرة التى أسهمت فيها دولة (جومو) .

وقبل أن ينتهى (ممدوح) من متابعة بقية الأنباء الواردة فى نشرة الأخبار تعالى رنين جرس الهاتف إلى جواره .

تناول سماعة الهاتف ليسمع صوت اللواء (مراد) يأتيه قائلا :

— (ممدوح) .. هل شاهدت الأخبار ؟

أجابه (ممدوح) :

— نعم .. ولقد أسعدنى ما شاهدته وسمعته .

اللواء (مراد) :

— هناك شىء آخر أعتقد أنه سيزيد من سعادتك .

(ممدوح) :

— وما هو ؟

اللواء (مراد) :

— ستصاحب الفريق القومى المصرى فى نهائيات كأس العالم .. وستحصل على دعوة مجانية لمشاهدة جميع المباريات فى (أثينا) ، على نفقة الاتحاد المصرى .. وباعتبارك ضيف شرف .

أحسّ (ممدوح) بسعادة بالغة وهو يقول :

— إننى لا أدرى ماذا أقول يا فندم .

اللواء (مراد) :

— لا تقل شيئا إنك تستحق ما هو أكثر من ذلك .

وفى أحد ملاعب العاصمة اليونانية (أثينا) جلس (ممدوح) يتابع إحدى مباريات الفريق القومى المصرى بشغف واهتمام .

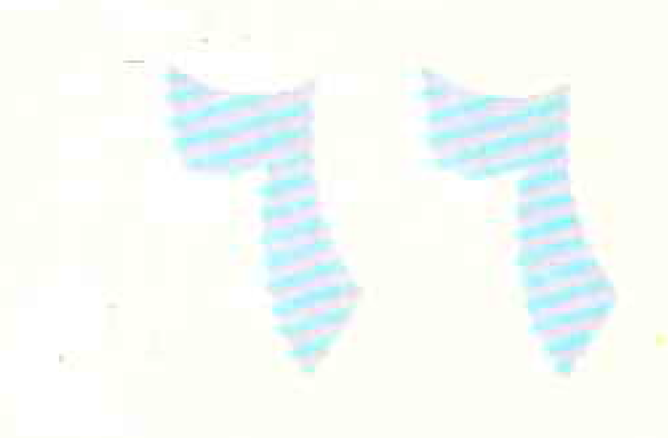
ثم لم يلبث أن هبّ واقفا وهو يصرخ مهللا ووجهه ينطق بالفرحة على إثر إحراز أحد لاعبينا هدفا فى الفريق المنافس .. هدف النصر .

* * *

[تمت بحمد الله]

صراع فى الأدغال

وقبل أن ينجح الآخر فى استرداد مسدسه ، كان (ممدوح) قد انتزع المسدس من جراب الرجل الصريع ، وسارع بتصويبه إلى رأس غريمه قائلا : إياك أن تلمسه .. وإلا لقيت مصير زميلك .



المؤلف



أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم
مؤامرة الشيطان

الثمن فى مصر ١٠٠ وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم